هدية

الإسراء

مجلة إسلامية شاملة
تصدر مرة كل شهرين عن دار الإفتاء الفلسطينية - القدس

العدد 153

رمضان/ شوال 1442هـ نيسان/ آيار 2021 م

المشرف العام
الشيخ محمد أحمد حسين

رئيس التحرير
الشيخ إبراهيم خليل عوض الله

تصميم ومونتاج
محمود طنينة

هيئة التحرير

د. إسماعيل أمين نواهضة
أ.د. حسن عبد الرحمن السلوادي
د. حمزة ذيب حمودة
د. سعيد سليمان القيق
د. شفيق موسى عياش

المراسلات: مجلة الإسراء
الإدارة العامة للعلاقات العامة والإعلام . دار الإفتاء الفلسطينية
ص.ب: 20517- القدس / ص.ب: 1862 رام الله - تلفاكس : 02-6262495 / 02-2348603
موقعنا على الإنترنت :www.darifta.ps للمراسلة عبر البريد الإلكتروني :israa@darifta.ps

ملحوظة : ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي صاحبه فحسب .

القدس عاصمة فلسطين الأبدية

فهرس العدد

افتتاحية العدد

القهر المفضي إلى هجر الأوطان	الشيخ محمد أحمد حسين	4

كلمة العدد

أين الصائمون؟	الشيخ إبراهيم خليل عوض الله	15

ملفا العدد
الصوم ، وذكرى النكبة

عبادات وطاعات رمضانية وبيان فضلها	الشيخ مهدي سليم	24
من غايات شهر رمضان المبارك	الشيخ كايد جلايطة	33
قرية الخَيْرِيَةِ المدمرة والمهجرة سنة 1948م	أ. فتحي محمود	39

دوحة الشعر

مجزرة نحالين	د.م.عبد الله فنون	44
رمضان الأمل رغم الوباء	أ. زهدي حنتولي	46

فقه

معنى التكافل الاجتماعي ومظاهره في الفقه الإسلامي الحنيف	أ. شفيق عياش	48
الفقراء والمساكين المستحقون للزكاة	الشيخ د. محمد يوسف الحاج محمد	53
مِن أحكام الخِطبة في الإسلام	الشيخ يسري عيدة	63

فهرس العدد

فتاوى

أنت تسأل والمفتي يجيب	الشيخ محمد حسين المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية	72

قيم ومواعظ

مميزات الرجل وصفاته من قول الله الفصل وآياته	الشيخ أحمد خالد شوباش	77
ألا بذكر الله تطمئن القلوب	أ. كمال بواطنة	84

أدبيات

مساجد إسطنبول ومعالمها والإنجازات الحديثة شاهدة على عراقتها وأصالتها وتطورها	أ. يوسف عدوي	88
مضرب الأمثال	أ. هالة عقل	98
اقرأ ... وتذكر	أ. إيمان تايه	102

نشاطات ... ومسابقات

باقة من نشاطات وأخبار مكتب المفتي العام ودوائر الإفتاء الفلسطينية في محافظات الوطن	أ. مصطفى أعرج	106
مسابقة العدد 153	أسرة التحرير	110
إجابة مسابقة العدد 151	أسرة التحرير	111

القهر المفضي إلى هجر الأوطان

الشيخ محمد أحمد حسين
المشرف العام

حب الوطن، والحرص عليه، والذود عن حياضه، قيم نبيلة، يعتز بها عموم الناس، على مختلف مشاربهم وألوانهم وأجناسهم وأعمارهم، فهذا أمير الشعراء أحمد شوقي يعبر عن تعلقه بوطنه، قائلاً:

سَلا مِصْرَ هَلْ سَلا القلْبُ عَنْها أَوْ أَسَا جرْحَهُ الزَمانُ المُؤَسِي؟
كُلَّمَا مرَتِ اللَّيالي عَلَيْه رَقَّ والعَهْدُ في اللَّيالي تُقسِي
وطَني لَو شغِلتُ بِالخلدِ عَنهُ نازَعَتني إِلَيهِ في الخلدِ نَفسي

ومن شعر السالفين:

بلادي وإن جارت عليّ عزيزة وأهلي وإن ضنّوا عليّ كرام

والشاعر إبراهيم طوقان، عبر بوضوح وجلاء عن اعتزازه بوطنه، بأبيات شعرية، صارت بعد ذلك نشيداً وطنياً فلسطينياً، يقول فيها:

موطني موطني

الجلال والجمال والسناء والبهاء

في رباك في رباك

والحياة والنجاة والهناء والرجاء

في هــواك فــي هــواك

هـــل أراك هـــل أراك

سالماً منعماً وغانماً مكرماً

هـــل أراك في عــلاك

تبلغ السماك تبلغ السماك

موطني موطني

التهجير القسري عن الأوطان:

غالباً ما يمتنع الناس أفراداً وجماعات عن الهجرة من أوطانهم، إلا لأسباب قاهرة، من أبرزها وأعظمها عمليات القهر والاضطهاد والاستضعاف التي يقوم بها الظالمون والمتغطرسون ضد ساكني الأوطان وأهلها، لأسباب مختلفة، يتعلق بعضها بالغطرسة الفكرية أو العقائدية، وأخرى تتعلق بطمع الجشعين بخيرات الأوطان، والاستحواذ على ثرواتها وميزاتها، والتفرد في تملكها، ونزعها من أصحابها الشرعيين، ومن أسباب القهر المفضي إلى هجر الأوطان ظلم ذوي القربى، وهو أَشَدُّ مَضَاضَةً عَلَى المَرْءِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ، وقد أشار القرآن الكريم إلى عدوان الظالمين بهدف تهجير المستهدفين بعدوانهم من أراضيهم، كصنيع كفار مكة مع النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، فقال عز وجل: {وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذاً لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً} (الإسراء: 76)، وقال تعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} (الأنفال:30)

وصفحات التاريخ والسيرة النبوية العطرة تزخر بأخبار الاضطهاد الذي كان يستهدف اقتلاع المسلمين ونبيهم، صلى الله عليه وسلم، من ديارهم، ومما ثبت في صحيح السنة النبوية بالخصوص، ما رواه ابن عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما، قال: (لَمَّا نَزَلَتْ {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} صَعِدَ النبي، صلى الله عليه وسلم، على الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي؛ يا بَنِي فِهْرٍ، يا بَنِي

عَـدِيٍّ، لِبُطُـونِ قُرَيْـشٍ، حـتى اجْتَمَعُـوا، فَجَعَـلَ الرَّجُـلُ إذا لـم يَسْـتَطِعْ أَنْ يَخْـرُجَ أَرْسَـلَ رَسُـولًا لِيَنْظُـرَ مـا هـو، فَجَـاءَ أبـو لَهَـبٍ وَقُرَيْـشٌ، فقـال: أَرَأَيْتَكُـمْ لـو أَخْبَرْتُكُـمْ أَنَّ خَيْـلًا بِالْـوَادِي تُرِيـدُ أَنْ تُغِـيرَ عَلَيْكُـمْ، أَكُنْتُـمْ مُصَـدِّقِيَّ؟ قالـوا: نعـم، مـا جَرَّبْنَـا عَلَيْـكَ إلا صِدْقًـا، قـال: فَـإِنِّي نَذِيـرٌ لَكُـمْ بـين يَـدَيْ عَـذَابٍ شَـدِيدٍ، فقـال أبـو لَهَـبٍ: تَبًّـا لـك سَـائِرَ الْيَـوْمِ، أَلِهَـذَا جَمَعْتَنَـا؟! فَنَزَلَـتْ: {تَبَّـتْ يَـدَا أَبِي لَهَـبٍ وَتَـبَّ* مـا أَغْـنَى عنـه مَالُـهُ ومـا كَسَـبَ})[1]

وعـن عُـرْوَةَ بـن الزُّبَـيْرِ، قـال: (قلـت لِعَبْـدِ اللَّـهِ بـن عَمْـرِو بـن الْعَـاصِ أَخْـبِرْنِي بِأَشَـدِّ مـا صَنَـعَ الْمُشْـرِكُـونَ بِرَسُـولِ اللَّـهِ، صـلى اللـه عليـه وسـلم، قـال: بَيْنَـا رسـول اللَّـهِ، صـلى اللـه عليـه وسـلم، يُصَـلِّي بِفِنَـاءِ الْكَعْبَـةِ، إِذْ أَقْبَـلَ عُقْبَـةُ بـن أبي مُعَيْـطٍ، فَأَخَـذَ بِمَنْكِـبِ رسـول اللَّـهِ، صـلى اللـه عليـه وسـلم، وَلَـوَى ثَوْبَـهُ فِي عُنُقِـهِ، فَخَنَقَـهُ بـه خَنْقًـا شَـدِيدًا، فَأَقْبَـلَ أبـو بَكْـرٍ، فَأَخَـذَ بِمَنْكِبِـهِ، وَدَفَـعَ عـن رسـول اللَّـهِ، صـلى اللـه عليـه وسـلم، وقـال: {أَتَقْتُلُـونَ رَجُـلًا أَنْ يَقُـولَ رَبِّيَ اللـه، وقـد جَاءَكُـمْ بِالْبَيِّنَـاتِ مـن رَبِّكُـمْ})[2]

وعـن عَبْـد اللَّـهِ بـن مَسْـعُودٍ، حـدّث (أَنَّ النَّـبِيَّ، صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ، كَانَ يُصَـلِّي عِنْـدَ الْبَيْـتِ، وَأَبُـو جَهْـلٍ وَأَصْحَـابٌ لَـهُ جُلُـوسٌ، إِذْ قَـالَ بَعْضُهُـمْ لِبَعْـضٍ: أَيُّكُـمْ يَجِـيءُ بِسَـلَى جَـزُورِ بَنِـي فُـلَانٍ، فَيَضَعُـهُ عَـلَى ظَهْـرِ مُحَمَّـدٍ إِذَا سَـجَدَ؟ فَانْبَعَـثَ أَشْـقَى القَـوْمِ فَجَـاءَ بِـهِ، فَنَظَـرَ حَـتَّى سَـجَدَ النَّـبِيُّ، صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ، وَضَعَـهُ عَـلَى ظَهْـرِهِ بَـيْنَ كَتِفَيْـهِ، وَأَنَـا أَنْظُـرُ، لاَ أُغْـنِي شَـيْئًا، لَـوْ كَانَ لِي مَنَعَـةٌ، قَـالَ: فَجَعَلُـوا يَضْحَكُـونَ، وَيُحِيـلُ بَعْضُهُـمْ عَـلَى بَعْـضٍ، وَرَسُـولُ اللَّـهِ، صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ، سَـاجِدٌ لاَ يَرْفَـعُ رَأْسَـهُ، حَـتَّى جَاءَتْـهُ فَاطِمَـةُ، فَطَرَحَـتْ عَـنْ ظَهْـرِهِ، فَرَفَـعَ رَسُـولُ اللَّـهِ، صَـلَّى اللـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ، رَأْسَـهُ، ثُـمَّ قَـالَ: اللَّهُـمَّ عَلَيْـكَ بِقُرَيْـشٍ. ثَـلاَثَ مَـرَّاتٍ، فَشَـقَّ عَلَيْهِـمْ إِذْ دَعَـا عَلَيْهِـمْ، قَـالَ: وَكَانُـوا يَـرَوْنَ أَنَّ الدَّعْـوَةَ فِي ذَلِـكَ البَلَـدِ مُسْـتَجَابَةٌ، ثُـمَّ سَـمَّى: اللَّهُـمَّ عَلَيْـكَ بِـأَبِي جَهْـلٍ، وَعَلَيْـكَ بِعُتْبَـةَ بْـنِ رَبِيعَـةَ، وَشَـيْبَةَ بْـنِ رَبِيعَـةَ، وَالوَلِيـدِ بْـنِ عُتْبَـةَ، وَأُمَيَّـةَ بْـنِ خَلَـفٍ، وَعُقْبَـةَ بْـنِ أَبِي

1. صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة الشعراء، باب {وأنذر عشيرتك الأقربين *واخفض جناحك} [الشعراء:214 - 215] ألن جانبك.
2. صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: {ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون} (الزمر: 68).

مُعَيْطٍ» - وَعَدَّ السَّابِعَ فَلَمْ يَحْفَظْ -، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صَرْعَى، فِي القَلِيبِ؛ قَلِيبِ بَدْرٍ)(*)

ومثل هذا الصنيع العدواني تكرر ضد كثير من أنبياء الله ورسله، عليهم السلام، وقد أخبر سبحانه عن ذلك، فقال عز وجل: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ} (إبراهيم:13)، فالتهديد بالتهجير من الأوطان ديدن الظالمين في كل زمان، ومن الأنبياء الذين واجهوا هكذا تهديد شعيب، عليه السلام، حيث يقول الله بالخصوص: {قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ} (الأعراف:88) ونبي الله لوط، هُدد بالتهجير من بلده، لأنه آثر والذين آمنوا معه التطهر على اقتراف فاحشة اللواط، فقال تعالى بشأن ذلك: {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ} (النمل:56)

وأهل الخبرة والعلم والدراية يتوقعون أن يلجأ الظالمون لأساليب تهجير المصلحين والأنبياء عن ديارهم، كخيار يلجأ إليه الفاشلون حين يفتقرون إلى مقارعة الحجة بالحجة، والبيان بالبيان، لذلك أخبر ورقة بن نوفل النبي، صلى الله عليه وسلم، بما سيجده من قومه من هذا القبيل، فاستغرب واستهجن أن يلجأ قومه لتهجيره من دياره، وله ما له عندهم من حظوة وقتئذ، فعن عَائِشَةَ، أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، أنها قالت: (أَوَّلُ ما بُدِئَ بِهِ رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، من الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ في النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إلا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إليه الْخَلَاءُ، وكان يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ، فَيَتَحَنَّثُ فيه، وهو التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ، قبل أَنْ يَنْزِعَ إلى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إلى خَدِيجَةَ، فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حتى جَاءَهُ الْحَقُّ، وهو في غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ، فقال: اقْرَأْ، قال: ما أنا بِقَارِئٍ، قال: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حتى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فقال: اقْرَأْ، قلت: ما أنا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ، حتى

* صحيح البخاري، كتاب الوضوء، بَابُ إِذَا أُلْقِيَ عَلَى ظَهْرِ المُصَلِّي قَذَرٌ أَوْ جِيفَةٌ، لَمْ تَفْسُدْ عَلَيْهِ صَلاَتُهُ.

بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فقال: اقْرَأْ، فقلت: ما أنا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فقال: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ* خَلَقَ الْإِنْسَانَ من عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ} فَرَجَعَ بها رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ على خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ، رضي الله عنها، فقال: زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ، حتى ذَهَبَ عنه الرَّوْعُ، فقال لِخَدِيجَةَ - وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ - لقد خَشِيتُ على نَفْسِي، فقالت خَدِيجَةُ: كَلَّا والله ما يُخْزِيكَ الله أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ على نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ، حتى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بن نَوْفَلِ بن أَسَدِ بن عبد الْعُزَّى ابن عَمِّ خَدِيجَةَ، وكان امْرَأً تَنَصَّرَ في الْجَاهِلِيَّةِ، وكان يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ من الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ ما شَاءَ الله أَنْ يَكْتُبَ، وكان شَيْخًا كَبِيرًا قد عَمِيَ، فقالت له خَدِيجَةُ: يا ابن عَمِّ؛ اسْمَعْ من ابن أَخِيكَ، فقال له وَرَقَةُ: يا ابن أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، خَبَرَ ما رَأَى، فقال له وَرَقَةُ: هذا النَّامُوسُ الذي نَزَّلَ الله على مُوسَى، يا لَيْتَنِي فيها جذعاً، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فقال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم : أَوَ مخرجيّ هُمْ؟ قال: نعم، لم يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ ما جِئْتَ بِهِ إلا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ، أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لم يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الْوَحْيُ)(*)

التهجير القسري عن الأوطان علامة فارقة:

نزلت في القرآن الكريم آيات كريمة تضمنت تحديداً جلياً لمعايير التعامل مع فاعلي التهجير القسري الظالم للناس عن أوطانهم، فبعد أن شرع الله البر في التعامل مع الذين لم يقاتلوا المؤمنين، ولم يخرجوهم من ديارهم، وشرع القسط لهذا الصنف من الناس على الرغم من كونهم غير مسلمين، نهى سبحانه بصورة قاطعة لا تقبل التردد والتأويل عن موالاة المعادين للمؤمنين، ممن اقترفوا جريمة تهجيرهم عن ديارهم، أو المظاهرة على تحقيق هذه الغاية العدوانية، فقال عز وجل: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم

* صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم؟

مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ* إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}(الممتحنة:8 - 9)، فإخراج المسلمين من ديارهم علامة فارقة تميز مقترفيها بأحكام شرعية، تختلف عن البريئين من هذه الجريمة النكراء، إذ الفرق كبير وشاسع بين تشريع القسط والموادة للفريق الثاني، وبين تجريم موالاة الفريق الأول، وتظهر تداعيات هذا الفرق وآثاره جلية على أرض الواقع، وخلال ممارسة العلاقات، وإبرام المعاهدات والمواثيق، فغير المسلمين ليسوا سواء، وهذه الحقيقة واضحة في النص الشرعي، ومشاهدة في واقع الحياة، فبالإضافة إلى التفريق بينهم حسب الآيتين السالفتين من سورة الحشر، الموضحتين لاختلاف حكم التعامل معهم بناء على القيام، بفعل التهجير للمسلمين عن ديارهم، أو المظاهرة على ذلك، وبين المحجمين عن اقتراف هذا العدوان، فإن الله سبحانه يفرق بينهم بصريح اللفظ والمعنى، فيقول عز وجل: {لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ} (آل عمران:113)، ويقول تعالى: {وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (آل عمران:75)، كما فرق سبحانه بين غير المسلمين في مجال موادة المسلمين ومعاداتهم، فقال سبحانه: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ} (المائدة:82)

حين تكون الهجرة مطلباً شرعياً:

تعرض القرآن الكريم بالوصف والتشريع للهجرة التي تكون مطلباً شرعياً في بعض الأحيان، فعدا عن الحث على الهجرة لله، وبيان مآثر المهاجرين في سبيل الله ومنازلهم، اعتبر القرآن الرضوخ للطغيان والخنوع للظلم درباً مؤدياً إلى جهنم، وبئس المصير، فقال عز

وجل:{إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيراً} (النساء:97)

يقول الزمخشري: هم ناس من أهل مكة، أسلموا ولم يهاجروا، حين كانت الهجرة فريضة، وسؤالهم: فيم كنتم؟ للتوبيخ، بأنهم لم يكونوا في شيء من الدين، حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا، فقالوا: كنا مستضعفين، اعتذاراً مما وبخوا به، واعتلالاً بالاستضعاف، وأنهم لم يتمكنوا من الهجرة، حتى يكونوا في شيء، فبكتتهم الملائكة بقوله تعالى: {ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها؟) أرادوا أنكم كنتم قادرين على الخروج من مكة إلى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من إظهار دينكم، ومن الهجرة إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كما فعل المهاجرون إلى أرض الحبشة، وهذا دليل على أن الرجل إذا كان في بلد لا يتمكن فيه من إقامة أمر دينه كما يجب، لبعض الأسباب - والعوائق عن إقامة الدين لا تنحصر- أو علم أنه في غير بلده أقوم بحق الله، وأدوم على العبادة، حقت عليه الهجرة. [1]

ويقول صاحب أضواء البيان: المعنى أنهم إن كانوا في أرض لا يقدرون فيها على إقامة دينهم، أو يصيبهم فيها أذى الكفار، فإن أرض ربّهم واسعة، فليهاجروا إلى موضع منها، يقدرون فيه على إقامة دينهم، ويسلمون فيه من أذى الكفار، كما فعل رسول اللَّه، صلى الله عليه وسلم، والمسلمون. [2]

مآثر المهاجرين في سبيل الله:

للمهاجرين في سبيل الله فضل في الإسلام عظيم، لاستجابتهم لأمر الله بالهجرة، على الرغم من قسوتها على قلوبهم، ومعاناتهم معها، فهم يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللّهِ، مصداقاً لوعده جل في علاه: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُوْلَـئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (البقرة:218)

1. الكشاف:1 /587.

2 أضواء البيان:6 /161.

والمهاجرون في سبيل الله وعدهم سبحانه بالنصر، وبأجر الآخرة، فقال عز وجل: {وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي اللّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ} (النحل:41)

ووعدهم ربهم بالرزق الحسن، فقال تعالى: {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقاً حَسَناً وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} (الحج: 58)

ووعد المهاجرون في سبيل الله بتكفير الذنوب، ومجازاتهم بالجنة، فقال جل ذكره:{فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ } (آل عمران:195)

الهجرة الواعية لها أهداف سامية:

الهجرة المشروعة تهدف إلى تحقيق أهداف شرعية نبيلة، على رأسها الانتصار للحق، والاحتشاد ضد الباطل وأهله، وحين تكون كذلك يحفها الله بعين رعايته ومؤازرته، حيث يقول جل شأنه:{الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (الحج:40)

وقد أثنى رب البرية على المهاجرين الذين دفعهم الحرص على نيل مرضاة الله على الهجرة في سبيل الله، فقال عز وجل: {لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ }(الحشر:8)

وقال تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ* ثُمَّ أَنتُمْ هَـؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ

إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ* أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ} (البقرة:84 - 86)

تطلع المهاجرين لنيل المثوبة:

المهاجرون قسراً عن ديارهم وأوطانهم، يتطلعون دائماً للعودة إليها، ويأبون القبول بأوطان بديلة عنها، فالرسول، صلى الله عليه وسلم، على الرغم مما حققته الهجرة له ولدينه من منعة وانتصارات، إلا أنه بقي يذكر أنه مهاجر، فعن أبي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، قال: (قال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً من الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ الناس وَادِيًا، وَسَلَكَت الْأَنْصَارُ وَادِيًا أو شِعْبًا، لَسَلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ أو شِعْبَ الْأَنْصَارِ)(*)

فالهجرة تبقى لصيقة بالمهاجرين، على الرغم مما قد يحدث لهم من استقرار في أوضاعهم في المكان الجديد لإقامتهم، وفي حالة الهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، حرص الرسول، صلى الله عليه وسلم، على ديمومة إقامة المهاجرين في المدينة، تحقيقاً لأهداف، منها الحفاظ على درجات المثوبة والمنازل الدينية الرفيعة التي نالها المهاجرون، بموجب الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تشيد بالمهاجرين ومنازلهم، وتضحياتهم، ودورهم الريادي في إنجاز النصر المبين، الذي توج بالفتح الأعظم للوطن، الذي هاجروا منه، وهو مكة المكرمة، فعن عَامِرِ بن سَعْدِ بن أبي وَقَّاصٍ، عن أبيه، رضي الله عنه، قال: (كان رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، يَعُودُنِي عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ من وَجَعٍ اشْتَدَّ بِي، فقلت: إني قد بَلَغَ بِي من الْوَجَعِ وأنا ذُو مَالٍ ولا يَرِثُنِي إلا ابْنَةٌ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي، قال: لَا، فقلت: بِالشَّطْرِ، فقال: لَا، ثُمَّ قال: الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَبِيرٌ، أو كَثِيرٌ، إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ من أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً، يَتَكَفَّفُونَ الناس، وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بها وَجْهَ اللَّهِ إلا

* صحيح البخاري، كتاب التمني، باب ما يجوز من اللو.

أُجِرْتَ بها، حتى ما تَجْعَلُ في فِي امْرَأَتِكَ، فقلت: يا رَسُولَ اللَّهِ؛ أُخَلَّفُ بَعْدَ أَصْحَابِي، قال: إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ، فَتَعْمَلَ عَمَلًا صَالِحًا إلا ازْدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً وَرِفْعَةً، ثُمَّ لَعَلَّكَ أَنْ تُخَلَّفَ حتى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ، وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ، اللهم أَمْضِ لِأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ، ولا تَرُدَّهُمْ على أَعْقَابِهِمْ، لَكِنِ الْبَائِسُ سَعْدُ بن خَوْلَةَ يرثي له رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، أَنْ مَاتَ بِمَكَّةَ) [1]

فهذا الخبر يظهر تخوف سعد بن أبي وقاص من أن يموت في مكة كونه مرض مرضاً شديداً خلال أدائه للحج بمعية الرسول، صلى الله عليه وسلم، عام حجة الوداع، وظن إن حصل له ذلك، سيفوته أجر الموت في دار الهجرة، وبالتالي سيفقد من أجر المهاجرين وثوابهم ومنزلتهم، الذين سيحافظون على هجرتهم، ويموتون وهم على ذلك، ومن ناحية أخرى؛ فإن الرسول، صلى الله عليه وسلم، خلال رده على تخوف سعد، بعث برسائل توضيحية، تضمنت بعث الأمل بالحياة، والإنجاز للنفس، والدين، والآخرين، في نفس سعد، الذي كان يظن أنه مشارف على الموت، وهذا ما تحقق فعلاً إذ عاش سعد بعد هذه الحادثة سنين، وأنجب أبناء، إخوة لابنته التي كانت وحيدة، وانتفع المسلمون منه، وبخاصة في معركة القادسية، ومن الرسائل المتضمنة في حديث سعد بيان مكانة الهجرة وفضلها، وأهمية المحافظة عليها.

لا هجرة بعد الفتح:

الحديث عن الهجرة الواجبة شرعاً، في ظروف الاستضعاف، ينبغي أن يتبع ببيان أن باب الهجرة الواجبة نصرة للدين أغلق مع انتصار الإسلام، وتلاشي الحاجة إلى الهجرة، وعبر الرسول، صلى الله عليه وسلم، عن هذا الحكم بجلاء في الحديث الصحيح الذي يرويه ابن عَبَّاسٍ، رضي الله عنهما، قال: قال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وإذا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا) [2]

1. صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب رثاء النبي، صلى الله عليه وسلم، سعد بن خولة.
2. صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير.

يذكر صاحب تحفة الأحوذي، عن الخطابي وغيره، أن الهجرة كانت فرضاً في أول الإسلام على من أسلم لقلة المسلمين بالمدينة، وحاجتهم إلى الاجتماع، فلما فتح الله مكة، دخل الناس في دين الله أفواجاً، فسقط فرض الهجرة إلى المدينة، وبقي فرض الجهاد والنية على من قام به، أو نزل به عدو.

ويبين صاحب التحفة أن الحكمة كانت أيضاً في وجوب الهجرة على من أسلم، ليسلم من أذى ذويه من الكفار، فإنهم كانوا يعذبون من أسلم منهم إلى أن يرجع عن دينه، وفيهم نزلت: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} (النساء:97)

وهذه الهجرة باقية الحكم في حق من أسلم في دار الكفر، وقدر على الخروج منها.

وهذا محمول على من لم يأمن على دينه، وبالنسبة إلى قوله: (ولكن جهاد ونية) قال الطيبي وغيره: هذا الاستدراك يقتضي مخالفة حكم ما بعده لما قبله، والمعنى أن الهجرة التي هي مفارقة الوطن التي كانت مطلوبة على الأعيان إلى المدينة انقطعت، إلا أن المفارقة بسبب الجهاد باقية، وكذلك المفارقة بسبب نية صالحة، كالفرار من دار الكفر، والخروج في طلب العلم، والفرار بالدين من الفتن، والنية في جميع ذلك، (وإذا استنفرتم فانفروا) قال النووي: يريد أن الخير الذي انقطع بانقطاع الهجرة، يمكن تحصيله بالجهاد والنية الصالحة، وإذا أمركم الإمام بالخروج إلى الجهاد ونحوه من الأعمال الصالحة فاخرجوا إليه. (*)

* تحفة الأحوذي: 5/ 178.

أين الصائمون؟

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله
رئيس التحرير

سؤال يراد به النداء، يطلق يوم القيامة لفرز الصائمين، وتكريمهم لصيامهم بدخول جنة الرضوان من باب الريان، المخصص لهم دون سواهم، فعن سَهْلٍ، رضي الله عنه، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ له الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ منه الصَّائِمُونَ يوم الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ منه أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ، لَا يَدْخُلُ منه أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فإذا دَخَلُوا أُغْلِقَ، فلم يَدْخُلْ منه أَحَدٌ)(*)

يلحظ الناس في حياتهم الدنيا، ويعيشون في مناسبات مختلفة صوراً من نداء التكريم، والذي يكون أحياناً بعد فتح صناديق أصوات الناخبين، وفرز بطاقات الاقتراع، وإحصاء الأصوات، ومن ثم إعلان أسماء الفائزين، فيغمر الفائزين الفرح والسرور، وبخاصة حين يتعلق الأمر بمناصب رفيعة، أو مراكز حساسة، ومن صور النداء التكريمي، تلك التي ينادى فيها على الناجحين أو الخريجين لينالوا شهادات التخرج، فيطيرون فرحاً بذلك، وهكذا تكون البهجة بنداء التميز الخاص بأمور الدنيا، التي في المحصلة ستفنى ومن عليها، وما عليها من مجد وفخار وسرور، فنعيمها لن يدوم لأحد، وكذلك بؤسها، لكن الأمر في الآخرة يختلف في المدى والشكل والمضمون، فمن يكرم فيها، فقد نال حظاً وافراً من النعيم، الذي لا يعتوره الفناء ولا النقص، ولا تعتوره السآمة، وإنما هو متجدد المذاق، مصداقاً لقوله جل ذكره:

* صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب الريان للصائمين.

{وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (البقرة:25)

فقد تتشابه الملذات في الجنة في الشكل والمظهر، لكن المذاق يتنوع، والأزواج فيها مطهرة.

ومن أبرز سمات نعيم الآخرة الخلود فيه، حسب الوعد الحق، الذي لا ريب فيه، والمخبر عنه في كثير من آيات التنزيل، كما في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَعْدَ اللّهِ حَقّاً وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلاً} (النساء:122)، وقوله عز وجل: {قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} (آل عمران:15)

وهكذا الصائمون الذين وعدهم الله بتكريم، يكون من مؤشرات الاحتفاء بهم فيه، أن يُنادى عليهم، لينالوا جوائزهم، التي يمر تكريمهم بها، بمرحلة مناداتهم، منتسبين إلى الصيام، الذي بسببه نالوا هذا التكريم.

شرح مجمل لحديث نداء الصائمين ليدخلوا الجنة:

جاء في فيض القدير، أن الرسول، صلى الله عليه وسلم، قال: (إنَّ في الجنّة باباً) ولم يقل للجنة؛ إشعاراً بأن في الباب المذكور من النعيم والراحة ما في الجنة، فيكون أبلغ في التشويق إليه، (يُقال له الرَيان) بفتح الراء، من الري، وهو باب يسقى منه الصائم شراباً طهوراً، قبل وصوله إلى وسط الجنة، ليذهب عطشه، وفيه مزيد مناسبة، وكمال علاقة بالصوم، واكتفى بالري عن الشبع، لدلالته عليه، أو لأنه أشق على الصائم من الجوع، (يدخل منه) إلى الجنة، (الصائمون يوم القيامة) يعني الذين يكثرون الصوم، لتنكسر نفوسهم لما تحملوا مشقة الظمأ في صومهم، خصوا بباب فيه الري، والأمان من الظمأ، قبل تمكنهم، ومن ثم كان مختصاً بهم، (لا يدخل منه أحد غيرهم) كرر نفي دخول غيرهم تأكيداً، (يقال) أي يوم القيامة في الموقف، والقائل الملائكة، أو من أمره الله من خلقه، (أين الصائمون؟)

المكثرون للصيام، (فيقومون) فيقال لهم ادخلوا الجنة، فيدخلون منه، (فإذا دخلوا)؛ أي دخل آخرهم منه، (أُغلق) بالبناء للمفعول، (فلم يدخل منه) بعد ذلك أحد، أي لم يدخل منه غير من دخل. [1]

دعوة الناس بإمامهم يوم القيامة

في سياق الوقوف عند حديث منادة الصائمين: أين الصائمون؟

يُحسن التذكير بأن الناس ينادون يوم القيامة بصيغ عدة، منها نداؤهم بإمامهم، حسب ما أخبر سبحانه في قرآنه العظيم، حيث يقول جل شأنه: {يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَـئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً} (الإسراء:71)

جاء في فتح القدير بالنسبة إلى الإمام الذي يدعى الناس به يوم القيامة، أن الزجاج قال: يعني يوم القيامة، والباء في بإمامهم للإلصاق، كما تقول أدعوك باسمك، ويجوز أن تكون متعلقة بمحذوف هو حال، والتقدير ندعو كل أناس متلبسين بإمامهم، أي يدعون، وإمامهم فيهم، نحو ركب بجنوده، والأول أولى، والإمام في اللغة كل ما يؤتم به، من نبي، أو مقدم في الدين، أو كتاب.[2]

وفي أضواء البيان، شيء من التفصيل المسند بالأدلة الشرعية، لتفسير المراد بالإمام الذي يدعى به الناس يوم القيامة، حسب ما جاء في الآية القرآنية الكريمة (71) من سورة الإسراء، فعند بعض العلماء قولهم أن المراد بـ{إمامهم} هو كتاب أعمالهم، ويدل على هذا قوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ} (يس:12)، وقوله: {وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} (الجاثية:28)

واختار هذا القول ابن كثير، لدلالة الآية (12من سورة يس) المذكورة عليه.

وعن قتادة ومجاهد أن المراد بـ{إمامهم}نبيهم، ويدل على هذا القول قوله تعالى: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاء رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ} (يونس:47)

1. فيض القدير، 2/ 464.
2. فتح القدير، 3 /292، بتصرف.

وقوله: {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَـؤُلاء شَهِيداً} (النساء:41)

وقال بعض أهل العلم: بـ{إِمَامِهِمْ} أي بكتابهم الذي أنزل على نبيهم، من التشريع، وممن قال به ابن زيد، واختاره ابن جرير.

وقال بعض أهل العلم: يدعى كل قوم بمن يأتمون به، فأهل الإيمان أئمتهم الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم، وأهل الكفر أئمتهم وسادتهم وكبراؤهم من رؤساء الكفرة، كما قال تعالى: {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ} (القصص:41)

ويرى بعض المفسرين، أن هذا الأخير هو أظهر الأقوال، والعلم عند الله تعالى، معللين هذا الترجيح بما وجدوه من أقوال العلماء في هذه الآية، وما يشهد لها من قرآن، وقوله تعالى بعد هذا: {فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ} من القرائن الدالة على ترجيح ما اختاره ابن كثير، من أن الإمام في هذه الآية كتاب الأعمال، وذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن الذين يؤتون كتابهم بأيمانهم يقرؤونه، ولا يظلمون فتيلاً، وقد أوضح هذا في مواضع أخر، كقوله سبحانه: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ} (الحاقة:19) إلى قوله: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ} (الحاقة:25). [1]

نداء الناس بأعمالهم يوم القيامة:

عن نداء الناس بأعمالهم، يخبر الرسول، صلى الله عليه وسلم، فيقول: (مَن أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نُودِيَ من أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، يا عَبْدَ اللَّهِ هذا خَيْرٌ، فَمَنْ كان من أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ من بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كان من أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ من بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كان من أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ من بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كان من أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ من بَابِ الصَّدَقَةِ، فقال أبو بَكْرٍ، رضي الله عنه: بِأَبِي أنت وَأُمِّي يا رَسُولَ اللَّهِ، ما على من دُعِيَ من تِلْكَ الْأَبْوَابِ من ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ من تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قال: نعم، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ منهم). [2]

1. أضواء البيان، 3/ 175 - 176، بتصرف

2. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب الريان للصائمين.

يدل هذا الحديث الشريف بجلاء على صحة مذهب من فسر نداء الناس بإمامهم يوم القيامة، بأعمال الناس، ففي الجنة أبواب مخصصة لدخول أصحاب الأعمال العظيمة منها.

جاء في عمدة القاري، أن قوله: (زوجين) يعني دينارين، أو درهمين، أو ثوبين، وقيل دينار وثوب، أو درهم ودينار، أو ثوب مع غيره، أو صلاة وصوم، فيشفع الصدقة بأخرى، أو فعل خير بغيره، قوله: (في سبيل الله) قيل هو الجهاد، وقيل ما هو أعم منه، وقيل المراد بالزوجين إنفاق شيئين من أي صنف كان من أصناف المال، وقال الداودي والزوج هنا الفرد، يقال للواحد زوج، وللاثنين زوج، قال تعالى: {فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى}(القيامة: 39)، وصوابه أن الاثنين زوجان، يدل عليه الآية، وقوله: (نودي من أبواب الجنة) المراد من هذه الأبواب غير الأبواب الثمانية، وقال ابن بطال لا يصح دخول المؤمن إلاَّ من باب واحد، ونداؤه منها كلها، إنما هو على سبيل الإكرام، والتخيير له في دخوله من أيها شاء، وقوله: (هذا خير) لفظة (خير) ليس من أفعل التفضيل، بل معناه هو خير من الخيرات، والتنوين فيه للتعظيم، وفائدة هذا الإخبار بيان تعظيمه.

وقوله: (دعي من باب الصلاة) أي المكثرين لصلاة التطوع، وكذا غيرها من أعمال البر، فالواجبات لا بد منها لجميع المسلمين، وقوله: (من باب الصدقة) أي من الغالب عليه ذلك، وإلاَّ فكل المؤمنين أهل للكل.

وقوله: (من ضرورة) أي من ضرر، أي ليس على المدعو من كل الأبواب مضرة، أي قد سعد من دعي من أبوابها جميعاً، ويقال: معناه ما على من دعي من تلك الأبواب، من لم يكن إلاَّ من أهل خصلة واحدة، ودعي من بابها لا ضرر عليه؛ لأن الغاية المطلوبة دخول الجنة من أيها أراد؛ لاستحالة الدخول من الكل معاً.

وقال الكرماني: أقول يحتمل أن تكون الجنة كالقلعة، لها أسوار محيط بعضها ببعض، وعلى كل سور باب، فمنهم من يدعى من الباب الأول فقط، ومنهم من يتجاوز عنه إلى الباب الداخل، وهلم جرا.

ويرد العيني بأن هذا الذي ذكره لا يستبعده العقل، ولكن معرفة كيفية الجنة، وكيفية أبوابها وغير ذلك، موقوفة على السماع من الشارع.

وقوله: (وأرجو أن تكون منهم) خطاب لأبي بكر، رضي الله تعالى عنه، والرجاء من النبي، صلى الله عليه وسلم، واجب، نبه عليه ابن التين، فدل هذا على فضيلة أبي بكر، رضي الله تعالى عنه، وعلى أنه من أهل هذه الأعمال كلها.

وفيه أن أعمال البر لا تفتح في الأغلب للإنسان الواحد في جميعها، وإن من فتح له في شيء منها، حرم غيرها في الأغلب، وأنه قد يفتح في جميعها للقليل من الناس، وإن الصدِّيق، رضي الله تعالى عنه، منهم.[1]

دحض التعارض بين روايات فتح أبواب الجنة لأصناف من الناس:

من أصناف الناس الذين وعدوا بدخول الجنة من أي أبواب الجنة الثمانية شاؤوا، المتشهد عقب الوضوء، حيث تفتح له أبواب الجنة الثمانية، وأهل التوحيد الذين يؤمنون بنبوة محمد وعيسى، عليهما الصلاة والسلام، فقد جاء في الحديث الصحيح، عن عُقْبَةَ بن عَامِرٍ، قال: (كانت عَلَيْنَا رِعَايَةُ الْإِبِلِ، فَجَاءَتْ نَوْبَتِي، فَرَوَّحْتُهَا بِعَشِيٍّ، فَأَدْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، قَائِمًا يحدث الناس، فَأَدْرَكْتُ من قَوْلِهِ: (ما من مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، إلا وَجَبَتْ له الْجَنَّةُ، قال: فقلت: ما أَجْوَدَ هذه! فإذا قَائِلٌ بين يَدَيَّ يقول: التي قَبْلَهَا أَجْوَدُ، فَنَظَرْتُ، فإذا عُمَرُ، قال: إني قد رَأَيْتُكَ جِئْتَ آنِفًا، قال: (ما مِنْكُمْ من أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ، فَيُبْلِغُ، أو فَيُسْبِغُ الْوَضُوءَ، ثُمَّ يقول أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إلا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عبد اللَّهِ وَرَسُولُهُ، إلا فُتِحَتْ له أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ، يَدْخُلُ من أَيِّهَا شَاءَ).[2]

جمع الشوكاني في فتح القدير، بين تخصيص باب الريان للصائمين، وبين وعد المتشهد عقب الوضوء بأن تفتح له أبواب الجنة الثمانية، كما في حديث عقبة بن عامر، فنفى التناقض بينهما، لجواز أن يصرف الله مشيئة ذلك المتشهد عن دخول باب الريان، إن لم يكن من

1. عمدة القاري، 10/ 264 - 265.
2. صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء.

مكثري الصوم، وفي عمدة القاري توضيح لإزالة ما استشكل عند بعضهم من الجمع بين حديث باب الريان، وبين وعد المتشهد عقب الوضوء بأن تفتح له أبواب الجنة الثمانية، فذكر وجهين لذلك: أحدهما أنه يصرف عمن يشاء باب الصيام، فلا يشاء الدخول منه، ويدخل من أي باب شاء غير الصيام، فيكون قد دخل من الباب الذي شاءه، والثاني: أن حديث عمر، رضي الله تعالى عنه، قد اختلفت ألفاظه، فعند الترمذي: (فتحت له ثمانية أبواب من الجنة، يدخل من أيها شاء)، فهذه الرواية تدل على أن أبواب الجنة أكثر من ثمانية منها، وقد لا يكون باب الصيام من هذه الثمانية، ولا تعارض حينئذ.[1]

التوفيق بين تخصيص باب الريان للصائمين، وبين تخيير المتشهد بعد الوضوء في دخول الجنة من أي أبوابها الثمانية شاء، يقال مثله بشأن وعد لأهل التوحيد بدخول الجنة من أي أبوابها الثمانية شاؤوا، فعن عُبَادَة بن الصَّامِتِ، قال: قال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (من قال: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ له، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عبد اللَّهِ وابن أَمَتِهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ منه، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ الله من أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ).[2]

فتح أبواب الجنة الثمانية بمجيء رمضان:

في ختام الوقوف عند تخصيص باب الريان لدخول الصائمين منه إلى الجنة، يحسن التذكير بأن أبواب الجنة تفتح بمجيء رمضان، وتغلق أبواب جهنم، حسب ما أخبر عنه رَسُول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، حيث قال: (إذا دخل رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتْ الشَّيَاطِينُ)[3]، وفي رواية صحيحة أخرى، ذكرت السماء بدل الجنة، فعن أبي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، قال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (إذا دخل شَهْرُ رَمَضَانَ، فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتْ الشَّيَاطِينُ)[4]

1. عمدة القاري، 10 /263.
2. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.
3. صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده.
4. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب هل يقال رمضان أو شهر رمضان؟...

جاء في فتح الباري عن عياض، قوله في شرح هذا الحديث: يحتمل أنه على ظاهره وحقيقته، وأن ذلك كله علامة للملائكة لدخول الشهر، وتعظيم حرمته، ولمنع الشياطين من أذى المؤمنين، ويحتمل أن يكون إشارة إلى كثرة الثواب والعفو، وأن الشياطين يقل إغواؤهم، فيصيرون كالمصفدين، قال: ويؤيد هذا الاحتمال - الثاني- قوله: (فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ)، وذلك في رواية مسلم عن يُونُس عن ابن شِهَابٍ، عن ابن أبي أَنَسٍ، أَنَّ أَبَاهُ حدثه أَنَّهُ سمع أَبَا هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، يقول: قال رسول اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم: (إذا كان رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلْسِلَتْ الشَّيَاطِينُ) (*)

قال ويحتمل أن يكون فتح أبواب الجنة عبارة عما يفتحه الله لعباده من الطاعات، وذلك أسباب لدخول الجنة، وغلق أبواب النار عبارة عن صرف الهمم عن المعاصي، الآيلة بأصحابها إلى النار، وتصفيد الشياطين عبارة عن تعجيزهم عن الإغواء، وتزيين الشهوات.

قال الزين بن المنير: والأول أوجه، ولا ضرورة تدعو إلى صرف اللفظ عن ظاهره، وأما الرواية التي فيها أبواب الرحمة، وأبواب السماء فمن تصرف الرواة، والأصل أبواب الجنة، بدليل ما يقابله، وهو غلق أبواب النار، واستدل به على أن الجنة في السماء، لإقامة هذا مقام هذه في الرواية، وفيه نظر.

وجزم التوربشتي شارح المصابيح بالاحتمال الأخير، وعبارته فتح أبواب السماء كناية عن تنزل الرحمة، وإزالة الغلق عن مصاعد أعمال العباد تارة، ببذل التوفيق، وأخرى بحسن القبول، وغلق أبواب جهنم كناية عن تنزه أنفس الصوام عن رجس الفواحش، والتخلص من البواعث عن المعاصي، بقمع الشهوات.

وقال الطيبي: فائدة فتح أبواب السماء توقيف الملائكة على استحماد فعل الصائمين، وأنه من الله بمنزلة عظيمة، وفيه إذا علم المكلف ذلك بأخبار الصادق ما يزيد في نشاطه، ويتلقاه بأريحية.

* صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضان.

وقال القرطبي، بعد أن رجح حمله على ظاهره: فإن قيل كيف نرى الشرور والمعاصي واقعة في رمضان كثيراً، فلو صفدت الشياطين لم يقع ذلك؟ فيجيب أنها إنما تقل عن الصائمين، الصوم الذي حوفظ على شروطه، وروعيت آدابه، أو المصفد بعض الشياطين، وهم المردة لأكلهم، كما في بعض الروايات، أو المقصود تقليل الشرور فيه، وهذا أمر محسوس، فإن وقوع ذلك فيه أقل من غيره، إذ لا يلزم من تصفيد جميعهم أن لا يقع شر ولا معصية؛ لأن لذلك أسباباً غير الشياطين، كالنفوس الخبيثة، والعادات القبيحة، والشياطين الإنسية.

وقال غيره في تصفيد الشياطين في رمضان: إشارة إلى رفع عذر المكلف، كأنه يقال له قد كفت الشياطين عنك، فلا تعتل بهم في ترك الطاعة، ولا فعل المعصية.[1]

ويلخص العيني المراد من فتح أبواب الجنة، بأنه حقيقة الفتح، وذهب بعضهم إلى أن المراد بفتح أبواب الجنة كثرة الطاعات في شهر رمضان، فإنها موصلة إلى الجنة، فكني بها عن ذلك، ويقال المراد به ما فتح الله على العباد فيه من الأعمال المستوجبة بها إلى الجنة؛ من الصيام والصلاة والتلاوة، وأن الطريق إلى الجنة في رمضان سهل، والأعمال فيه أسرع إلى القبول.[2]

سائلين الله العلي القدير أن يهل علينا شهر رمضان بالخير واليمن والبركات، وأن يعيننا على حسن صيامه، وأن يتقبله منا، وأن يكرمنا سبحانه بالعتق من النار، ودخول الجنة مع زمرة الصائمين من باب الريان، المعد للصائمين، الذين يكرمون بندائهم: أين الصائمون؟ تمهيداً لمجازاتهم بجنة عرضها السماوات والأرض، وفيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

1. فتح الباري: 4/ 114 - 115.
2. عمدة القاري: 10/ 266.

عبـادات وطاعـات رمضانيـة

وبيـان فضلهـا

الشيخ مهدي سليم
باحث شرعي/دائرة إفتاء محافظة جنين

شـهر رمضـان المبـارك هـو خـير الشـهور عنـد اللـه سـبحانه وتعـالى؛ فقـد شرّف اللـه هـذا الشـهر بـنزول القـرآن الكريـم فيـه، قـال تعـالى: {شَـهْرُ رَمَضَـانَ الَّـذِي أُنـزِلَ فِيـهِ الْقُـرْآنُ} (البقـرة 185).

والمسـلم الفَطـن مـن يسـتثمر أوقـات هـذا الشـهر المبـارك الفضيـل بمـا يقربـه إلى اللـه تعـالى، ويسـهل عليـه طريـق الجنـة، فشـهر رمضـان فرصـة عظيمـة لمضاعفـة الحسـنات ومغفـرة الذنـوب والسـيئات، والإقبـال عـلى الطاعـات، فيـه تصفّـد الشـياطين، ويعتـق المسـلم مـن النـيران، قـال صـلى اللـه عليـه وسـلم: « إذا كانَـت أوَّلُ ليلـةٍ مـن رمَضـانَ، صُفِّـدتِ الشَّـياطينُ، ومَـردةُ الجِـنِّ، وغلِّقـت أبَـوابُ النَّـارِ، فلـم يُفتَـحْ منهـا بـابٌ، وفُتِحـت أبـوابُ الجنَّـةِ، فلـم يُغلَـقْ منهـا بـابٌ، ونـادى منـادٍ: يـا باغـيَ الخـيرِ أقبِـلْ، ويـا باغـيَ الـشَّرِّ أقـصِر، وللَّـهِ عتقـاءُ مـنَ النَّـارِ، وذلِـك في كلِّ ليلـةٍ»(*) .

ومـن شرف هـذا الشـهر المبـارك الفضيـل أن اللـه سـبحانه وتعـالى خصّـه ببعـض العبـادات والطاعـات، الـتي قـد يُـشرع بعضهـا طيلـة العـام، ويُقبـلُ في غـيره مـن الشـهور، لكـن بعضهـا الآخـر يختـص بشـهر رمضـان المبـارك، ولا يكـون في غـيره مـن الشـهور، ومـن هـذه العبـادات:

الصيام:

صيـام شـهر رمضـان المبـارك ركـن مـن أركان الإسـلام العظيـم، وأركان الإسـلام وفرائضـه مـن أحـب الأعمـال الـتي يُتقـرب بهـا إلى اللـه سـبحانه وتعـالى، قـال صـلى اللـه عليـه وسـلم، فيمـا

* سنن ابن ماجة. كتاب الصيام. باب ما جاء في فضل شهر رمضان، وصححه الألباني.

يرويه عن ربه: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ»[1]، وذكر لنا الله سبحانه وتعالى أجر بعض العبادات، وجعل ثوابها مضاعفاً، وأجرها كبيراً، وعند الحديث عن الصيام نرى أن الله سبحانه وتعالى نسبه إلى نفسه، وأخفى أجره، وأعظمَ أمره، قال رب العزة جلّ في علاه، في الحديث القدسي: (إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به)[2]، والصوم مدرسة للأخلاق، وفرصة لتهذيب النفس، وتدريبها على حسن الأخلاق، وجميل التصرفات، فليس المقصود منه مجرد الجوع والعطش، بل هو وقاية من الشيطان ووساوسه، ودورة تدريبية لحسن الأخلاق، وجميل الآداب، التي يتزين بها المسلم، قال صلى الله عليه وسلم : « الصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَجْهَلْ، وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ، فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ»[3]، وقد ورد في صحيح البخاري، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: «من صامَ يومًا في سبيلِ اللَّهِ، بعَّدَ اللَّهُ وجهَهُ عنِ النَّارِ سبعينَ خريفًا» [4]، هذا أجر الصيام بشكل عام، فما بالك بصيام شهر رمضان المبارك، الذي تضاعف فيه الحسنات، وتكثر فيه الطاعات، وتغفر فيه الذنوب والزلات.

قراءة القرآن في رمضان:

شهر رمضان المبارك هو شهر القرآن، وقد شرّف الله هذا الشهر بأن بدأ نزول القرآن الكريم فيه، قال تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ} (البقرة 185)، وعندما يذكر شهر رمضان يذكر معه القرآن الكريم مباشرة، فارتباطهما قديم، والعلاقة بينهما كبيرة.

وفي هذا الشهر المبارك الفضيل ترى انشراح قلوب المسلمين للعبادة، وإقبالهم الكبير على كتاب الله سبحانه وتعالى؛ لأن رمضان موسم المسلم للعبادة، وفرصته الكبيرة للطاعة، وثروته العظيمة لاغتنام الأجر والثواب من الله، سبحانه وتعالى، ولعلم المسلم بحديث رسول الله،صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي يقول فيه: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ

1. صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع.
2. صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب ما يذكر في المسك.
3. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب فضل الصوم.
4. صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الصوم في سبيل الله.

بِـهِ حَسَـنَةٌ، وَالحَسَـنَةُ بِعَـشْرِ أَمْثَالِهَـا، لاَ أَقُـولُ الْـم حَـرْفٌ، وَلَكِـنْ أَلِـفٌ حَـرْفٌ، وَلاَمٌ حَـرْفٌ، وَمِيـمٌ حَـرْفٌ»[1]، وهـذا الحديـث الشريـف يتحـدث عـن قـراءة القـرآن الكريـم في أيـام العـام جميعهـا، فمـا بالـك بالأجـور المضاعفـة والثـواب الكبـير، في شـهر رمضـان المبـارك.

وقـد كان لرسـول الله،صـلى اللـه عليـه وسـلم، اجتهـاد خـاص مـع القـرآن في شـهر رمضـان المبـارك، فقـد ثبـت في الصحيحـين أن رسـول اللـه، صـلى اللـه عليـه وسـلم، كان يقـرأ ويراجـع حفظـه مـن القـرآن الكريـم عـلى جبريـل، عليـه السـلام، عَـنِ ابْـنِ عَبَّـاسٍ، رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُمَـا، قَـالَ: «وَكَانَ جِبْرِيـلُ يَلْقَـاهُ فِي كُلِّ لَيْلَـةٍ مِـنْ رَمَضَـانَ، فَيُدَارِسُـهُ القُـرْآنَ»[2]، وهـذا الحديـث كمـا يقـول ابـن رجـب الحنبـلي، رحمـه اللـه، يـدل عـلى: (اسـتحباب دراسـة القـرآن في رمضـان، والاجتمـاع عـلى ذلـك، وعـرض القـرآن عـلى مـن هـو أحفـظ لـه، وفيـه دليـل عـلى اسـتحباب الإكثـار مـن تـلاوة القـرآن في شـهر رمضـان ... ويـدل عـلى اسـتحباب الإكثـار مـن التـلاوة في رمضـان ليـلاً، فـإن الليـل تتقطـع فيـه الشـواغل، ويجتمـع فيـه الهـم، ويتواطـأ فيـه القلـب واللسـان عـلى التدبـر»[3].

وعنـد الحديـث عـن همـة السـلف الصالـح مـع القـرآن في رمضـان؛ نـرى الهمـم العاليـة، والطاقـات الكبـيرة، والجهـود العظيمـة، الـتي وُجهـت نحـو كتـاب اللـه سـبحانه وتعـالى، فقـد ورد أن بعضهـم كان يختـم القـرآن الكريـم كل يـوم، كعثمـان بـن عفـان، رضي اللـه عنـه، وتميـم الـداري، وسـعيد بـن جبـير، ومجاهـد، والشـافعي، وآخـرون.

وبعضهـم كان يختـم القـرآن الكريـم كل أسـبوع، كعبـد اللـه بـن مسـعود، وزيـد بـن ثابـت، وأبي بـن كعـب، وعبـد الرحمـن بـن يزيـد، وعلقمـة، وإبراهيـم، رضي اللـه عنهـم، ورحمهـم اللـه[4].

وكان بعـض السـلف يختمـه في قيـام رمضـان في كل ثـلاث ليـال، وبعضهـم في كل سـبع، منهـم: قتـادة، وبعضهـم في كل عـشرة، منهـم: أبـو رجـاء العطـاردي، وكان السـلف يتلـون القـرآن في شـهر رمضـان في الصـلاة وغيرهـا، وكان الأسـود يقـرأ في كل ليلتـين في رمضـان، وكان النخعـي يفعـل

1. سنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر، وصححه الألباني.
2. صحيح البخاري. كتاب بدء الخلق. باب ذكر الملائكة.
3. ابن رجب الحنبلي/ لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف. ص(169).
4. انظر: النووي/ التبيان في آداب حملة القران. ص(61-59)

ذلك في العشر الأواخر منه خاصة، وفي بقية الشهر في ثلاث، وكان قتادة يختم في كل سبع دائماً، وفي رمضان في كل ثلاث، وفي العشر الأواخر كل ليلة، وكان للشافعي في رمضان ستون ختمة يقرؤها في غير الصلاة، وعن أبي حنيفة نحوه، وكان قتادة يدرس القرآن في شهر رمضان، وكان الزهري إذا دخل رمضان قال: فإنما هو تلاوة القرآن، وإطعام الطعام.

وكان مالك إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم، ويقبل على تلاوة القرآن من المصحف، قال عبد الرزاق: كان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة، وأقبل على قراءة القرآن... وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان، خصوصاً الليالي التي تطلب فيها ليلة القدر، أو في الأماكن المفضلة، كمكة لمن دخلها من غير أهلها، فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن، اغتناماً للزمان والمكان، وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة، وعليه يدل عمل غيرهم كما سبق ذكره»[*].

وان استبعد أحد صدق هذه الأخبار، واستبعد حصول مثل هذه الأفعال، نذكّره ببعض أصحاب المهن والحرف من حولنا، كيف رأينا منهم قوة خارقة، ودقة متناهية، وتحمل رهيب، وجَلَد عظيم، ومثابرة طويلة، وهمة عالية، لا يمكن لنا تصديقها إلا بعد أن خَبِرناهُم، وعشنا في زمانهم، ورأينا أفعالهم بأم أعيننا، وأصحاب الهمة في العبادة كثر، لا ينكر جهدهم، ولا يرد فضلهم، ولا يكذب فعلهم، أخبارهم ثابتة، وفعلهم مشروع، وهمتهم مباركة، وأجمل من علّق على ذلك الإمام اللكنوي، رحمه الله، عندما قال: (وإن الذاكرين لهذه المناقب ليسوا ممن لا يعتمد عليه، أو ممن لا يكون حجة في النقل، بل هم أئمة الإسلام، و عمد الأنام، الذين يرجع إلى أقوالهم في المهمّات، وتجعل أخبارهم من القطعيات، كأبي نعيم، و ابن كثير، و السمعاني، وابن حجر المكي، وابن حجر العسقلاني، والسيوطي، والنووي، والذهبي، ومن يحذو حذوهم ... ووقوع مثل هذا، وإن استبعد

* ابن رجب الحنبلي/ لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف. ص(171)

مـن العـوام، فـلا يسـتبعد مـن أهـل اللـه تعـالى، فإنهـم أعطـوا مـن ربهـم قـوة وصلـوا بهـا إلى هـذه الصفـات، ولا ينكـر هـذا إلا مـن ينكـر صـدور الكرامـات وخـوارق العـادات)[1].

الدعاء:

الدعـاء عبـادة وطاعـة يتقرب بهـا العبد إلى الله سـبحانه وتعـالى {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} (غافر: 60)، وقـال صـلى اللـه عليـه وسـلم: «الدعـاء هـو العبـادة»[2]، والدعـاء يحبه الله سـبحانه وتعالى مـن عبده، ويعدّ أكـرم شيء على اللـه سـبحانه وتعـالى، قـال صـلى اللـه عليه وسـلم: « لَيْـسَ شَيْءٌ أَكْـرَمَ عَلَى اللَّـهِ تَعَـالَى مِنَ الدُّعَـاءِ» [3].

ويعـد الدعـاء في شـهر رمضـان المبـارك مـن العبـادات الـتي ينشـط لهـا المسـلم، ويجتهـد بهـا، فالدعـاء في رمضـان أرجـى للقبـول، وأقـرب للإجابـة، فأبـواب السـماء مفتّحـة، وأبـواب النـيران مغلقـة، والشـياطين مصفـدة، والنفـس توّاقـة للعبـادة والطاعـة.

وعنـد النظـر في الآيـة الـتي يطمـئن لهـا قلـب المؤمـن، بـأن دعـاءه مسـتجاب، وجهـده مـع اللـه لـن يضيـع، نجـد أنهـا أتـت في منتصـف الآيـات الـتي تتحـدث عـن الصيـام، وفيهـا يقـول تعـالى: { وَإِذَا سَـأَلَكَ عِبَـادِي عَـنِّي فَـإِنِّي قَرِيـبٌ أُجِيـبُ دَعْـوَةَ الـدَّاعِ إِذَا دَعَـانِ فَلْيَسْـتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُـوا بِي لَعَلَّهُـمْ يَرْشُـدُونَ } (البقـرة: 186).

وهـذا -واللـه أعلـم- فيـه إشـارة دقيقـة للعلاقـة الوطيـدة بـين رمضـان والدعـاء، فالدعـاء في هـذا الشـهر المبـارك الفضيـل يخـرج مـن قلـب خاشـع، ولسـان ذاكـر، ونفـس مطمئنـة، امتنعـت عـن الطعـام والـشراب والشـهوات، امتثـالاً لأمـر اللـه، وطاعـة لرسـوله الكريـم، صـلى اللـه عليـه وسـلم.

صلاة التراويح :

قيـام الليـل مـن العبـادات المشروعـة طيلـة أيـام السـنة، وهـي مـن العبـادات المحببـة لقلـوب المؤمنـين، يشـتاق لهـا، ويطمـئن قلبـه بهـا، ويخلـو بصفـاء قلبـه مـع مـولاه لمناجاتـه، قـال

1. اللكنوي، محمد عبد الحي الهندي/ إقامة الحجة على أن الإكثار في التعبد ليس ببدعة. ص(101 - 103)
2. سنن أبي داود. كتاب تفريع أبواب الوتر، باب الدعاء، وصححه الألباني.
3. سنن الترمذي. كتاب الدعوات. باب ما جاء في فضل الدعاء، وحسنه الألباني.

تعالى في حقّهم: {كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ، وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ } (الذاريات: 17 - 18)

وقال أيضا في وصفهم: {تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ينفِقُونَ} (السجدة:16).

وقيام الليل من أفضل الصلوات بعد الفريضة، وهو شرف للمؤمن، وتكريم له، وقد أمر به الرسول، صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وحثّ عليه، فقال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِسَلَامٍ)[1].

وصلاة التراويح في رمضان لها ميزة خاصة، وفضل كبير، فمن احتسبها وأخلص فيها نيته، وأحسن فيها عمله، كان قيامه هذا سبب لمغفرة ما تقدم من الذنوب، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) [2]، وفي هذا حثٌ واضح، وتشجيع صريح، لاستنهاض الهمم في شهر الخير والبركة، قال الحافظ ابن رجب: «واعلم أن المؤمن يجتمع له في شهر رمضان جهادان لنفسه: جهاد بالنهار على الصيام، وجهاد بالليل على القيام، فمن جمع بين هذين الجهادين، ووفى بحقوقهما، وصبر عليهما، وُفِّي أجره بغير حساب»[3].

وأكثر ما يشحذ الهمم، ويقوّي العزيمة، للمواظبة على صلاة التراويح في المسجد، ما صحّ عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أن من بقي مع الإمام حتى ينتهي من صلاة التراويح، كتب له قيام ليلة كاملة، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قال رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إنه مَنْ قَامَ مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ)[4].

العشر الأواخر من رمضان وليلة القدر:

ومن مزايا هذا الشهر المبارك الفضيل أن فيه ليلة مباركة، العبادة فيها خير من عبادة ألف شهر فيما سواها، قال تعالى: { لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ} (القدر:3)، ومن شرف هذه الليلة المباركة أن فيها بدأ نزول القرآن الكريم على رسولنا محمد، صلى الله عليه وسلم، قال

1. سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب منه، وصححه الألباني.
2. صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب تطوع قيام رمضان من الإيمان.
3. ابن رجب الحنبلي/ لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف: 1/ 171.
4. سنن الترمذي، كتاب الصوم، باب ما جاء في قيام شهر رمضان، وصححه الألباني.

تعالى: { إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} (القدر:1)، وليلة القدر كما قال صلى الله عليه وسلم، تكون في الليالي الوتر من العشر الأواخر في شهر رمضان فعن عائشة، رضي الله عنها ، أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال : «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي الوِتْرِ مِنَ العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ» [1] ، وقد كان من هدي رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أنه كان يتحرى ليلة القدر بالاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان ما لا يجتهد في غيرها من أيام العام، فكان يعتزل أهله، ويعتكف في مسجده، ويوقظ أهله، ويحيي الليل بالعبادة والطاعة، لينال شرف موافقة ليلة القدر، عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: (كَانَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ، شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ)[2] .

ومن أكرمه الله تعالى بحسن اجتهاده، فوافق ليلة القدر، فقد حاز ما وعد به الرسول، صلى الله عليه وسلم، من الأجر والثواب، ومغفرة الذنوب: «ومَن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدَّم من ذنبه»[3] ، وقد أدركت أمّنا عائشة، رضي الله عنها، مكانة هذه الليلة، فاجتهدت بها خير اجتهاد، وسألت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عن خير ما يُدعى به الله سبحانه وتعالى في هذه الليلة المباركة، فقال لها: (قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني) [4].

وإن نظرنا بشمول لشرف الزمان في شهر رمضان المبارك، رأينا أن العبادات والطاعات أجرها مضاعف، وثوابها عظيم في هذا الشهر المبارك الفضيل، ورأينا كيف أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والصحابة الكرام والسلف الصالح من بعدهم اجتهدوا واستثمروا أوقات الخير في هذا الشهر المبارك بكل أنواع العبادات والطاعات، فقد ثبت أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كان كريماً جواداً يُكثر من الصدقات، ولكنه كان يتحرّى شهر رمضان ليضاعِفَ إنفاقه، ويكثرُ خيره، ويكون أجود الناس في هذا الشهر الفضيل، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ

1. صحيح البخاري. كتاب فضل ليلة القدر. باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر.
2. صحيح البخاري، كتاب فضل ليلة القدر، باب العمل في العشر الأواخر من رمضان
3. صحيح البخاري، كتاب فضل ليلة القدر، باب فضل ليلة القدر
4. سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب منه، وصححه الألباني.

عَنْهُمَا، قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، ... فَلَرَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ)[1].

وأبواب الصدقات كثيرة، منها: تفطير الصائم، فمن فطّر صائماً في رمضان كان له مثل أجره، ومن زَادَ ضُوعِفَ له في الأجر والثواب، قال، صلى الله عليه وسلم: «مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا»[2].

ومن الصدقات الخاصّة بشهر رمضان المبارك زكاة الفطر، وهي صدقة واجبة على كل مسلم، أمر بها الرسول، صلى الله عليه وسلم، وحثّ عليها، فعن ابن عمر، رضي الله عنه، قال: (فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، زَكَاةَ الفِطْرِ صَاعًا مِن تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِن شَعِيرٍ عَلَى العَبْدِ والحُرِّ، والذَّكَرِ والأُنْثَى، والصَّغِيرِ والكَبِيرِ مِنَ المُسْلِمِينَ، وأَمَرَ بهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إلى الصَّلَاةِ)[3].

ومما يميز الصائم عن غيره، وجبة السَّحور، وهو الطعام الذي يتناوله الصائم في آخر الليل، وقبل الفجر، وقد حثّنا عليه الرسول، صلى الله عليه وسلم، فقال: (تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً)[4]، وقال أيضاً: (فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ، أَكْلَةُ السَّحَرِ)[5]، ومما يُسنّ للصائم أيضاً: تعجيل الإفطار، وتأخير السحور، قال صلى الله عليه وسلم: (لاَ يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ)[6]، ومما يميّز الصائم أيضاً الرائحة التي تنبعث من فمه، فبالرغم من أنها مزعجة للخلق، ومنفرة للناس، إلا أنها عند الله غالية، ومكانتها عظيمة، قال فيها رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ)[7].

1. صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم.
2. سنن الترمذي، أبواب الصوم، باب ما جاء في فضل من فطر صائما، وصححه الألباني.
3. صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب فرض صدقة الفطر.
4. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب بركة السحور من غير إيجاب.
5. صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب فضل السحور وتأكيد استحبابه، واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر.
6. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب تعجيل الإفطار.
7. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شتم.

ومن العبادات التي تُشرع في رمضان، ويترتب عليها ثواب خاص، وأجر عظيم، أداء العمرة، فرغم عِظَم أجرها، وكبير فضلها، إلا أن مكانتها في رمضان خاصة، عنِ ابنِ عباسٍ، رضي اللَّه عنهُما، أنَّ النَّبيَّ، صلى الله عليه وسلم، قَالَ: (فإن عُمرَة في رمَضَانَ تقضي حجة، أَوْ حَجَّةً مَعِي)[1].

ومن ميزات هذا الشهر الفضيل، أنه سبب من أسباب المغفرة، وفرصة كبيرة لتكفير الذنوب والخطايا، قال صلى الله عليه وسلم :(الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان؛ مكفرات لما بينهن، إذا اجتنبت الكبائر)[2]، وقد خصّص الله سبحانه وتعالى للصائمين بابا من أبواب الجنة، لا يدخل منه أحد غيرهم، وهو باب الريان، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا، يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ، فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ)[3].

وللصائم عند فطره، وانتهاء تعبه، وفراغ نصبه، فرحة خاصة مشروعة، بشّر بها الرسول،صلى الله عليه وسلم، ووعد بفرحة أخرى للصائم يوم لقاء ربه، قال صلى الله عليه وسلم: (لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ)[4].

والموَفَّق من وفقه الله سبحانه وتعالى، فأحسن استثمار وقته في شهر رمضان المبارك، وعَمّره بالعبادة والطاعة، وملأ أوقات هذا الشهر المبارك الفضيل بكل أنواع العبادات، وأشكال الطاعات، التي يحبها الله سبحانه وتعالى ويرضاها، ليصبح رمضان بالنسبة إليه فرصة لمغفرة ذنوبه، وزيادة أجوره، ورفع درجاته، وعتقه من النيران.

1. صحيح البخاري، كتاب جزاء الصيد، بَابُ حَجِّ النِّسَاءِ.
2. صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان؛ مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر.
3. صحيح البخاري، كتاب الصوم، بَابٌ: الرَّيَّانُ لِلصَّائِمِينَ.
4. صحيح مسلم، كتاب الصيام، بَابُ فَضْلِ الصِّيَامِ.

من غايات شهر رمضان المبارك

كايد حسن عايد جلايطه

مساعد مفتي محافظة أريحا والأغوار

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه الكرام،

أما بعد؛

فمن النعم التي امتنَّ بها الله عزَ وجل عبادة الصيام، وجعله فريضة جليلة عظيمة، فيها مقاصد ومنافع وغايات، ففيه تغفر الذنوب، وتقال العثرات، هو شهر عظيم، فاغتنموه بالعبادة، والصلاة، والصيام، والدعاء، وتلاوة القرآن، قال تعالى: {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ} (البقرة: 148).

وقال سبحانه: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} (آل عمران:133) .

قال البيضاوي: "فيه إشارة إلى أنَّ الطاعة لا تقبل إلا من مؤمن متقٍ لله"[1] ، ومن هذه الغنائم العظيمة فتح الجنات، وغلق أبواب النيران، فيه اليسر والرحمة والكرم والعطاء، فهو الخير كلُه، حافل بالخيرات، قال صلى الله عليه وسلم: (كل الناس يغدو، فبائع نفسه، فمعتقها، أو موبقها)[2] .

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (البقرة: 183).

1. تفسير البيضاوي، المسمى التنزيل وأسرار التأويل، الإمام ناصر الدين بن عبد بن عمر الرازي البيضاوي، ص 284.
2. سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب منه، قال الترمذي: هذا حديث صحيح.

"الصيام له ارتباط بالقرآن؛ من جهة أنَّه سبب لارتفاع القلب من الاتصال بالعوائق البشرية، إلى التعلق بالله تعالى، كما أنَّ الصيام سبب الصفاء والفكر، ورقة القلب، التي هي سبب الانتفاع بالقرآن" [1].

وفي رمضان تزداد الراحة النفسية والقلبية والروحية والصحية، وذلك لأنَّ طبيعة النفوس أن تفتر وتمل، وتتعب وتكل، وذلك من خلال مغريات الحياة، والشيطان يصطاد، وذلك بسبب ضعف النفس عن أداء الواجبات مع الأيام.

ومن هذه المعاني الجليلة في شهر رمضان ما يأتي:

1 - النية والإخلاص: قال تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} (البينة: 5)، وقوله صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمالُ بالنيَّات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانتْ هجرتُه إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأةٍ ينكحُها، فهجرتُه إلى ما هاجرَ إليه)[2] .

2 - بدايةً أن تزين نفسك مستقبلاً مستبشراً سعيداً بالطاعة والعبادة، والفرح والسرور، قال تعالى: {ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} (الحج:32)، وهذه الشعائر هي علامة التقوى.

قال ابن عباس، رضي الله عنهما، قيل: {شَعَائِرَ اللَّهِ} أعلام دينه، {فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} أي: فإن تعظيمها من تقوى القلوب."[3].

فلرمضان معانٍ عظيمة يفرح فيها المؤمن، منها العبادة، وقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم : (أتاكُم رَمضانُ شَهرٌ مبارَك، فرَضَ اللَّهُ عزَّ وجَلَّ عليكُم صيامَه، تُفَتَّحُ فيهِ أبوابُ السَّماءِ، وتغَلَّقُ فيهِ أبوابُ الجحيمِ، وتُغَلُّ فيهِ مَرَدَةُ الشَّياطينِ، للَّهِ فيهِ ليلةٌ خيرٌ من ألفِ شَهرٍ ، مَن حُرِمَ خيرَها فقد حُرِمَ)[4] .

1. كتاب (ليتدبروا بآياته، حصاد عام من التدبر)، مركز الدراسات الاستشارية، المجموعة الثانية، ص24.
2. صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .
3. البغوي، محمد حسين بن مسعود، تفسير البغوي "معالم التنزيل" 8/ 384.
4. سنن النسائي، كتاب الصيام، باب ذكر الاختلاف على معمرٍ فيه، وصححه الألباني.

واستحضار النية، فالصوم هو الإمساك عن المفطرات، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النية"[1].

قال الزحيلي: " النيَّة، هي "رادار" القلب المسلم، توجهه إمَّا إلى الخير، وإمَّا إلى الشرِّ، وهي مدار عمل المسلم، ومِعيار ضبط الأعمال الشرعيَّة، من عباداتٍ ومعاملات، فإمَّا أن تصحِّح العمل الشرعيَّ، وإمَّا أن تُبطلَه، وتلغي آثارَه، وهي سبب الثَّواب الأُخروي على العمل، فإمَّا أن تكون سببًا للثَّواب والظَّفر بجِنان الخُلد، كنية الجهاد، وحبِّ المؤمنين، وصفاء القلْب، وإمَّا أن تكون سببًا للعقاب؛ كالحقد والحسد والبغضاء، أو الرياء والشُّهرة والسُّمعة، فمَن حسُنت نيَّتُه وصلحَت سريرته، حاز الفضل والفوز، والخير في الدنيا والآخرة، ومن ساءت نيَّتُه وفسدت سريرتُه، باءَ بالخُسران والسُّوء، والخذلان في الدنيا والآخرة" [2]

3 - ومن الفضائل والغايات في رمضان مواجهة المصاعب والأزمات والطوارئ، من آلام وجوع وفقر؛ ليتعود على الخشونة، روي عن أبي أمامة، رضي الله عنه، قلت: (يا رسول الله، مرني بعمل ينفعني الله به، قال: عليك بالصوم، فإنه لا مثيل له)[3].

4 - واحتساب الأعمال، قال صلى الله عليه وسلم: (مَن صامَ رَمضانَ إيمانًا واحْتِسابًا غُفِرَ له ما تقدَّمَ مِن ذَنْبِه، ومَن قام لَيلةَ القَدْرِ إيمانًا واحْتِسابًا غُفِرَ له ما تَقَدَّم مِن ذَنْبِه) [4]، وهذا المعنى هو جوهر الصيام، الابتعاد عن الشهوات والمحرمات، وقد قال الله تعالى: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} (الزمر: 10)، والصوم نصف الصبر، قال صلى الله عليه وسلم: [الصِّيَامُ جُنَّةٌ، فلا يَرْفُثْ ولَا يَجْهلْ، وإنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ، وَالَّذِي

1. فقه السنة، 1 /489.
2. الزحيلي، وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، 1 /197.
3. سنن النسائي، كتاب الصيام، باب ذكر الاختلاف على محمد بن أبي يعقوب، وصححه الألباني.
4. صحيح البخاري، كتاب الصيام، باب صوم رمضان احتساباً من الإيمان.

نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِن رِيحِ المِسْكِ، يَتْرُكُ طَعَامَهُ وشَرَابَهُ وشَهْوَتَهُ مِن أَجْلِي، الصِّيَامُ لِي، وأَنَا أَجْزِي به، والحَسَنَةُ بعَشْرِ أَمْثَالِهَا) [1].

5 - يخبر المولى جلَّ وعلا أنه قد فرض الصيام على عباده المؤمنين، كما فرضه على من سبقهم من أهل الملل، وقد علَّل فريضته ببيان فوائد كبرى، وحكمه العليا، وهي أن يُعدّ نفس الصائم لتقوى الله، وترك الشهوات المباحة، امتثالاً لأمره سبحانه، احتساباً للأجر عنده، ليكون المؤمن من المتقين لله، المجتنبين لمحارمه.."[2]

ومن الأغراض العظيمة ملازمة النفس وراحتها، ليتحاب الناس ويتقربوا بينهم ويتراحموا، ويصلوا أرحامهم، ويتعاونوا فيما بينهم.

قال ابن عاشور: "حكمُ الصيام حكم عظيم من الأحكام التي شرعها الله تعالى للأمة، وهي من العباده الرامية إلى تزكية النفس ورياضتها؛ وفي ذلك صلاح حال الأفراد، فرداً فرداً، إذ منها تكون المجتمع" [3].

6 - ومن الفوائد والأسرار المسارعة بالإنفاق في السر والعلانية، قال تعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (البقرة: 274)، وتتجلى المحبة الإنسانية في رمضان أكثر من غيره، فيجتهد الصائم لإطعام الصائمين من ذوي القربى، والأصدقاء والأرحام وغيرهم.

قال تعالى {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا* إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا}(الإنسان: 8 - 9).

1. صحيح البخاري، كتاب الصيام، باب فضل الصيام.
2. الصابوني،محمد علي، أرواع البيان تفسير آيات الأحكام، 1 /192.
3. ابن عاشور، محمد طاهر، تفسير التحرير والتنوير، 2 /154، الدار التونسية.

قال المناوي: "صلة القرابة مثراة ... وهي زيادة المال والمحبة في الأهل منسأة في الأجل"[1].

7 - كما أنَّ هذه الجواهر النفيسة تزداد وترتفع، بترك الحرام في كل وقتٍ وحين، فلا ينفع الصائم وهو يتقرب بالحرام والزور وغيرها من المحرمات، والإنسان محاسب على أفعاله وأقواله، وهو مسؤول عنها يوم القيامة : قال صلى الله عليه وسلم:(من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) [2].

قال الغزالي: "التقوى كنز عظيم، فإن ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر، ورزق كريم، وملك عظيم؛ لأن خيرات الدنيا والآخرة جُمعت فيها"[3].

8 - ومن فوائد رمضان أنَّ على المسلم أن يتفقه في الدين، خاصةً النوازل والمستجدات والأحكام الشرعية، كالصيام، والسحور، والقنوت والدعاء، للرجل والمرأة، فمن لم يعرف بهذه الأحكام، فليسأل أهل العلم والدين والاختصاص، قال تعالى: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}(النحل: 43).

9 - الدين كله يسر؛ لأنه موصل إلى طريق الجنة والسعادة في الأولى والآخرة؛ قال السعدي في تفسيره: "أي: يريد الله تعالى أن ييسر عليكم الطريق الموصلة إلى رضوانه أعظم تيسير ويسهلها، ولذا كان جميع ما أمر الله به عباده في غاية السهولة في أصله، وإذا حصلت بعض العوارض الموجبة الثقيلة، سهله تسهيلاً آخر، إما بإسقاطه، أو التخفيف بأنواع التخفيفات، وهذه جملة لا يمكن تفصيلها، ويدخل فيها جميع الرخص والتخفيفات" [4].

---

1. محمد عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، 4 /251.
2. صحيح البخاري، كتاب الصيام، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصيام.
3. الغزالي، حامد محمد بن محمد، مناهج العابدين إلى الجنة، ص55.
4. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن، 1 /137، الطبعة الأولى، 1422ه، دار الجوزي، السعودية، تحقيق، عبد الله بن العقيل، وبكر بن عبد الله زيد.

وأجمل ما قرأت وسمعت من العلماء، ومنهم النووي: "عما فتحه الله لعباده من الطاعات في هذا الشهر، التي لا تقع في غيره عموماً، الصيّام والقيّام، وفعل الخيرات والبعد عن كثيرٍ من المخالفات، وهذه أسباب دخول الجنة وأبواب لها، وكذلك تغليق أبواب النار، وتصفد الشياطين عبارة عما ينكفون عنه من المخالفات.."[1]

ويقول القاسمي: "فإن الصوم يكسر الشهوة، فيقمع الهوى، فيردع عن مواقعة السوء"[2].

فاللهم تقبل منا الإخلاص والعمل يا رب العالمين، كما ذكر عن علي، رضي الله عنه، أنه "كان ينادي في آخر ليلة من شهر رمضان: يا ليت شعري من هذا المقبول فنهنيه، ومن هذا المحروم فنعزيه" [3].

وأخيراً: فإن رمضان شهر عمل ونشاط دؤوب، وحركة وعمل وعلم ودراسة، لنهوض مركب الحضارة والتقدم والازدهار، لا شهر نقوص وفتور همم، فقد وقعت في هذا الشهر الفضيل حروب ومعارك وغزوات كبرى، منها معركة بدر، وفتح مكة، سائلين الله أن ييسر لنا استعادة أقصانا في هذا الشهر الفضيل. {وَآَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}

1. النووي، يحي بن شرف، صحيح مسلم بشرح النووي، 1 /188، الطبعة الأولى، سنة 1347هـ 1929م.
2. محمد جمال الدين القاسمي، تفسير القاسمي، المسمى محاسن التأويل، ص\طه 418، الطبعة الأولى، 1376هـ 1975م.
4. ابن رجب، فرج عبد الرحمن ، لطائف المعارف، ص210.

قرية الخَيْرِيَةِ المدمرة والمهجرة سنة 1948 م

أ. فتحي محمود

معلم وأمين مكتبة متقاعد / نابلس

المقدمة: الحمدُ لله المُعِز المذل، المحيي المميت، النافع الضار ، الخافض الرافع، القائل: {وتلك الأيامُ نُداولُها بين الناس} (آل عمران: 140)

سبب التسمية والموقع : الاسم القديم للقرية هو (ابن بَرَقْ، أو ابنْ بْرَق) وفي أواخر القرن الثامن عشر ق . م . سجل الملك الأشوري (سنحاريب)[1] أسماء بلدان السهل الساحلي الفلسطيني التي فتحها، وكانت منها (بنايْ بْرَق) وهي كما ترى تحريفاً لاسمها الكنعاني العربي (بني بَرَق، أو ابْنْ بْرَق) وفي أواخر القرن العثماني ، أطلق السكان على قريتهم اسم "الخَيْرِيَة " بدلاً من اسمها القديم (ابن بْرَقْ)، لأن اليهود أقاموا مستوطنة شمال القرية سموها بِني بِرَق، فغير السكان هذه التسمية الى مُسمى جديد، هو : " الخَيْرِيَة" لأن أهلها خيرون وكرماء.

وتقع قرية الخيرية في السهل الساحلي الفلسطيني الأوسط، شرق يافا، وتبعد عنها 8 كم . ومناخُها معتدل، وتربتها طينية خصبة . [2]

الحدود : يحدها شمالاً قرية سلمة، وجنوباً يازور وبيت دجن، وشرقاً ساكية وكفر عانا، وغرباً مدينة يافا.

السكان : بلغ عدد سكان قرية الخيرية سنة 1947 / 1948 حوالي 1647 نسمة .

1. مفصل العرب واليهود : أحمد سوسة . ص 588
2. بلادنا فلسطين ،مصطفى مراد الدباغ ، 1: 42.

ويتـوزع السـكان عـلى خمـس حمايـل : الرُمحـي / آل الجُـرُف / حمادشـة / اردينيـة / نـدى، ولـكل حمولـة ديـوان – مضافـة – ومختـار . ويعـدّ الديـوان لاسـتقبال الضيـوف وإكرامهـم . وأسـماء المخاتـير : المختـار عبـد الفتـاح رشـيد / إبراهيـم نـدى / مـوسى أحمـد شـعبان، وكانـت هنـاك لجنـة إصـلاح مكونـة مـن : صالـح نـدى ، ورسـمي الجـرف ، ومحمـد الفـارس ، وذيـب العبـد حسـين ، وعـلي خليـل حسـان ، ومصطفـى عـلي حسـن نـواس ، ومحمـود عبـد الحسـن.

وتعـاون أهـل القريـة فيمـا بينهـم كان مـضرب الأمثـال في العونـة والكـرم، والمشـاركة في الأفـراح والأتـراح . وأهـم مـا تميزت بـه قريـة " الخيريـة " أنهـا القريـة الوحيـدة في فلسـطين الـتي لـم يكـن فيهـا ثـارات دم، بسـبب الترابـط الأُسري والأُخـوي بينهـم .

وفي عـام 1998 قُـدر عـدد اللاجئـين مـن أبنـاء " الخيريـة " المسـجلين في(*)(وكالـة الغـوث) حـوالي 6410 أمـا مجمـوع اللاجئـين مـن المسـجلين وغـير المسـجلين عـام 1998 حـوالي. 10,116 نسمة .

الزراعـة : كانـت الزراعـة عمـاد القريـة الاقتصـادي، والدخل المـالي للأهل، وتشـتهر القرية بزراعـة الخضـار والحمضيـات ...إلـخ، ويتم تسـويق الفائض إلى يافـا للبيع . ولم يحدث أن اشـترى أحد مـن سـكان القريـة البرتقـال، وإنمـا يُهـدى لـه . وكانـت الزراعة تعتمـدُ عـلى الأمطـار والآبـار . وفي القرية كثـير مـن البيـارات، وأشـهرها بيـارة (العيلـة)، ويوجـد في القريـة أكثر مـن (14) دكانـاً، ويوجـد في القرية مقهـى (أبـو الـرز) و(راديـو وصالـون حسـن الناطـور للحلاقـة) و(مقـام الشـيخ درباسي) وتل حسـان .

وكان في القريـة مسـجد قديـم، وقامـت عائلـة (الجُـرُف) بتزويـده بالمـاء والمنافـع الصحيـة سـنة 1947م، والنوبـاني هـو إمـام المسـجد، والمـؤذن مصطفـى محمـود نـواس . ويوجـد في منتصـف القريـة (المِقيَـل) وهـي مسـاحة واسـعة مـن الأرض، حيـث كانـت البقـر والغنـم تقيـل فيـه (أي تقعـد)، ويعـد المقيـل واحـداً مـن أهـم الملامـح البـارزة في قريـة " الخيريـة " وهـذا دليـل عـلى ثـراء القريـة ووفـرة مواشـيها، والشـوارع غـير معبـدة، ولكنهـا مرصوفـة جيـداً، وهنـاك شـارع مُسـفلت يمـرُّ شرقـاً باتجـاه مدينـة يافـا .

* سجل النكبة – 1948 – إعداد سلمان حسن أبو ستة، مركز العربي الفلسطيني / لندن 1998

التعليم : يوجد في قرية " الخيرية " مدرستان :

1 – مدرسة للذكور أُنشئت سنة 1920 م، واسمها : " مدرسة الخيرية النموذجية " من الصف الأول، وحتى الصف السادس، وبعدها يُكمل الطالب دراسته إلى قرية سلمه . مدير المدرسة: عاصم الناشف من الطيبة . وعدد الهيئة التدريسية في المدرسة سنة 1947 ثمانية، منهم:

1 – المرحوم المعلم محمد مسلم ندى 2 – المرحوم المعلم شعبان موسى شعبان .

الشهيد عصام الطاهر، من يافا، الذي استشهد في أثناء مواجهته للقوات البريطانية .

2 – مدرسة البنات : تأسست سنة 1945م، وهي للصف الرابع، وبعدها تُكمل الطالبة دراستها في المدرسة الأميرية للذكور، مديرة المدرسة : زليخا السقا .

الاحتلال البريطاني ليافا :

هاجم البريطانيون العثمانيين في معركة عظيمة في قرية : (ابن بْرَق – الخَيْرِيَة) كمقدمة لاحتلال يافا، حتى تم دخول يافا عام 1917 م [1]،

وقد اشترك ثوار " الخيرية" مع إخوانهم المجاهدين في كل من ثورة يافا سنة 1921 م، وثورة البُراق سنة 1929 م – سنة 1933 م، وإضراب سنة 1936 م . وأخذ شباب " الخيرية " يبيعون مصاغ زوجاتِهم من أجل شِراء السلاح ، وشاركوا في المُظاهرات، التي أُقيمت بعد صلاة الجمعة في مسجد يافا الكبير . وردت بريطانيا بقمع هذه المظاهرات، وإطلاق الأعيرة النارية ، حيث سقط كثير من الجرحى والشهداء من أبناء القرية، حيث استشهد كل من: (خليل عثمان) وأصيب (فؤاد ابو الرز) [2]

سقوط يافا وقرية الخيرية على يد العصابات الصهيونية:

في 22 / نيسان 1948 م، صدرت الأوامر بتنفيذ عملية {حَميتس} [3] لاحتلال يافا وقُراها ، ومنها قرية " الخيرية "، وعندما علم سكان القرية بهذا الخبر، قاموا بحفر الخنادق الدفاعية حول القرية، وتناوبوا على حراستها ليلاً ونهاراً، من أجل الدفاع عنها . [4]

1.بلادنا فلسطين: مصطفى مراد الدباغ، الديار اليافية، 7 / 89 .

2. بلادنا فلسطين: مصطفى مراد الدباغ، الديار اليافية / 7 ، 249.

3 عملية حميتس: هي جزء من خطة دالت ، التي تحولت من الدفاع إلى الهجوم وتهدف الى تطهير الساحل الفلسطيني بقيادة لواء إلكسندروني، كي لا ننسى – وليد الخالدي ص 739 .

4. المصدر السابق، ص699.

مجازر اليهود : بعد سقوط قرية " الخيرية " في 12 / 4 / 1948 م دخل اليهود القرية، وقاموا بمجازر رهيبة تقشَعِر لهولِها الأبدان، وأطلقوا النار على كل من تواجد في القرية من رجالٍ ونساءٍ وشيوخ وأطفال، من أجل إرهابِهِم وتشريدِهِم .[1]

وعلى إثر هذه المذبحة [2] استشهد عدد كبير من أبناء قرية " الخيرية " وهم: محمد أحمد حسن المصري / ناجي مسلم ندى / عبد الرحمن ذيب العبد حسين، وأخته فاطمة، والخادم - تمَّ قتلُهُم في البيت - وأسعد عبد القادر حمادشة / وأحمد عطاالله وابنته مريم / وسعيد محمد القاطوني / محمد شاكر سعادة / وعبد الله رشيد عبد الفتاح / عمر عباس الفرعاوي/ يوسف الحمد قاطوني / شما الجُرُف.

ومن المفقودين : أحمد يوسف خليل شرف / إبراهيم يوسف رحال / سعيد القاطوني - أبو فوزي، أسماء الجرحى في حرب عام 1947 - 1948 م من أبناء قرية " الخيرية "[3] 1 - محمد حسين 2 - محمد عثمان 3 - محمد مصطفى قنديل 4 - أحمد عبد الهادي هويدي 5 - زكي مسلم ندى / أبو فيصل، أصيب برصاصتين في رسغ اليد، وبقيت حتى وفاته . 6 - نادية محمد رسمي الجرف ، حيث دخلت الرصاصة وخرجت من بين ضُلوعها .

القرية اليوم والمستوطنات:

دُمِرَت قرية " الخيرية " تدميراً تاماً، ولا يوجد إلا منزل واحد يعود إلى السيد (أحمد الطيبي)، وتحيطُ بهذا المنزل أشجار السرو والصبر والتين ...

زَعِمَ تقرير صادر عن استخبارات الهاغاناة أن سكان قرية " الخيرية " أبدوا بُعيد تهجيرِهِم في أوائل عام 1948 م ، الرغبة في العودة إلى منازلِهِم ، والقبول بالسلطة اليهودية .[4]

1. القرى العربية الدمرة - جامعة بيرزيت - شركة الوثائق والمعلومات، ص 12
2. التاريخ الشفوي.
3. وليد الخالدي/ كي لا ننسى، ص 786.
4. كي لا ننسى / وليد الخالدي، ص 699

أُقيمت على أرض " الخيرية " أربع مستوطنات: 1 – مُستوطنة بِني بِراق : بكسر الباء في الكلمتين، أسسها يهود من بولندا في تاريخ 13 / 6 / 1924 م [1]

2 – مستوطنة كفار أزار 3 - مستوطنة رمات غان 4 – مستوطنة رمات إفعال [2]

الخاتمة : قرية " الخيرية " من أقدم القرى التي أقامها الكنعانيون في فلسطين . وتَظهرُ في الخريطة، وكتب التاريخ، والموسوعات، والخرائط، وفي ذاكرة أولئك الذين يذكرون كل بيت، وكل حارة، وكل قطعة أرض، وكل بيارةٍ من بياراتها، وكل حَجَرٍ من حِجاراتها، فلا شكَّ أنها من الأرض المباركة التي ينتمي إليها بيت المقدس .

قد ثَبَتَ من خلال هذا المقال أن أهالي قرية " الخيرية " طُرِدوا من ديارِهم بقوة السلاح، وفظاعة الجرائم التي مارستها العصابات الصهيونية، إلا أنهم ما زالوا يُؤمنون بحقِّهم في العودة إلى دِيارِهم .

1. معجم المواقع الجغرافية / قسطنطين نقولا – جمعية الدراسات العربية – القدس، ص29

2. كي لا ننسى : وليد الخالدي - ص 699

مجزرة نحالين الثانية

شعر: د.م.عبد الله فنون
فلسطين

في الليل جاؤوا كالغجر ... مدججين بكل شر
عبروا الجبال مع التلال ... بغير ضوء للقمر
جاؤوا بأجنحة الظلام ... لذبح أبناء البشر
جند صهاينة لئام ... حاقدين بكل غدر
حملوا سلاحاً قاتلاً ... من متنه طار الشرر
وصلوا لنحالين صبحاً ... في تسابيح الفجر
وتوزعوا حول المقابر ... في الزوايا والحفر
كمنوا إلى حين الأذان ... وعند إمساك السحر
بدأوا هجوماً بالسلاح ... كأنما الناس بقر
والناس قد عقدوا الصيام ... بغير خوف أو حذر
قاموا لتأدية الصلاة ... مجازفين مع القدر
خرج الصغار إلى الطريق ... وجمعوا كل حجر
رجموا العدى ببسالة ... رغم التعرض للخطر

وكأنهم أسد جروا	يسعون في كر وفر
طفل الأبابيل انبرى	متمترساً فوق الشجر
والبعض أبلى مسعفاً	يسعى لتخفيف الضرر
والناس طاردت الغزاة	وكل غدار أشر
هربوا وعادوا خاسئين	بأمر سفاح قذر
شارون سفاك الدماء	وقاتل براً وبحر
خرجوا وقد تركوا اليتامى	والأرامل تنتظر
وجريحنا يروي التراب	كأنه يسقي شجر
أما الشهيد فقد رقى	إلى خلود مفتخر
في فرحة فيها العطاء	مجسد وبكل فخر
فالله أسأل رحمة	لكل من عانى الضرر
ولكل قلب فيه جرح	مسه سوء وشر

نحالين13 /4/ 2019

في الذكرى الثلاثين لمجزرة نحالين الثانية في 13 /4 /1989، حيث كانت الأولى في 28 /3 /1954، وهما أكبر مذبحتين في القرية بقيادة أرئيل شارون قائد كتيبة (101) المتخصصة في قتل الناس العزل في قرى خط وقف إطلاق النار في فلسطين، وقد استشهد في الأولى 15 مواطناً، وفي الثانية 7 مواطنين، وجرح أكثر من 45 مواطناً في الأولى، وأكثر من 60 في الثانية، بعضهم أصيب بإعاقة دائمة.

رمضان الأمل رغم الوباء

شعر: زهدي حنتولي
موظف إداري/ مكتب نائب المفتي العام

رمضانُ يا شهراً يفوحُ مودَّةٌ ... بوركتَ منْ أرَجٍ ومنْ نفحاتِ
نفحاتُ خيرٍ للنفوسِ سكينةٌ ... ومودّة تضفي من البركاتِ
لمّا أطلَّ هلالهُ مستبشراً ... فرحتْ بهِ مهَجٌ بما هوَ آتي
نظرتْ إليهِ عيونُ كلّ مرحّبٍ ... بقدومهِ بتلألؤ البسماتِ
وتزيَّن الأفق البعيدُ نضارةً ... ووسامةً تطفو على القسماتِ
سعدت بهِ أممٌ تتوقُ لقربهِ ... ولقائهِ في موسم الخيراتِ
شوقاً يزيدُ حرارةً لحضورهِ ... قد عانقتهُ بلذّةِ الطاعاتِ
وتألقت مزدانةً برحابهِ ... ألقاً يفوحُ بعاطر النسماتِ
فازت بهِ بحفاوةٍ فتشرّفتْ ... بصيامهِ بالفعلِ والعزَماتِ
والليلَ باتتهُ تصلّي ركعةً ... وترتّلُ القرآنَ بالآياتِ
رمضانُ هذا العامُ يأتي واعداً ... رغم الوباءِ ولجّةِ الكُرُبات

يـأتي وفي يـدهِ مشـاعلُ آمـلٍ ... لينـيرَ دربـاً في دجـى الظلمـاتِ

يـأتي وفي غـدهِ ابتسـامةُ موعـدٍ ... تمحـو انكسـارَ الظـلِّ والحـسراتِ

رمضـانُ في زمـنِ "الكرونـا " مشـهدٌ ... مـا كانَ يشـهدُ فرقَـةَ الجمعـاتِ

قـد جـاء في عـصرِ الكمامـةِ داعيـاً ... للصـبرِ في مـا كانَ مـن عقبـاتِ

يـروي قلـوبَ الظامئـين بغيثـهِ ... يطفـي بـهِ نـاراً مـن الجمـراتِ

تخضـلُّ منـهُ نضـارةً وهدايـةً ... تحيـا بـهِ بحـلاوةٍ وزكاةِ

تـاجُ الشـهورِ فضيلـةٌ سـاعاتهُ ... وتباركـتْ بالأجـرِ والحسـناتِ

إنّي وإن جـاد القصيـدُ ببوْحـهِ ... أضفـي عليـهِ بشاشـةَ الكلمـاتِ

ولقـدْ زهَـتْ ألوانهـا حـتى غـدت ... طيفـاً يطـوفُ بأجمـل الصفحـاتِ

معنى التكافل الاجتماعي ومظاهره في الفقه الإسلامي الحنيف

الدكتور شفيق عياش
عضو هيئة تحرير مجلة الإسراء

يقصد بالتكافل الاجتماعي في معناه اللفظي والمعنوي أن يكون كل فرد من أفراده في كفالة جماعته، وأن للفرد حقوقاً في المجتمع، يجب على القوامين عليه أن يعطوا كل ذي حق حقه، من غير تقصير ولا إهمال، وأن يتكفلوا برعاية الفقراء، وإغاثة المرضى والعجزة، ورفع الضرر عن الضعفاء، ومن إليهم؛ كالعمال الذين يصابون أثناء العمل، وأنه إن لم يكن كذلك تآكلت لبنات البناء، ولا بد أن يخر منهاراً ولو بعد حين.

ولا نكاد نجد ديناً أو تشريعاً يتحقق في ظله التكافل الاجتماعي بالصورة الكبيرة الواسعة الجامعة التي نجدها في الإسلام، وإن كان تفصيل لذلك لا يستوفيه كتاب أو كتب، فحسبنا الإشارة إلى أبلغ تعبير جامع لمعنى التكافل الاجتماعي في قول النبي، صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)[1]، وقوله صلى الله عليه وسلم، في صورة أخرى: (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا)[2]، فهاتان الصورتان تكشفان عن مدى ما يصل إليه التضامن والتعاون مع الأفراد في المجتمع الإسلامي، لأن الصورة الأولى تمثل المؤمنين على اختلاف أصنافهم بالجسد الواحد، ويتكون من أعضاء مختلفة، كل عضو فيه يمثل جانباً من صورته، لا

1. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.
2. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

تتم، ولا تكتمل دونه، ومن ثم كان ضرورياً وطبيعياً أن تسود أعضاءه وأجزاءه جميعها مشاعر جامعة، وأن تتعاون هذه الأعضاء والأجهزة والأجزاء على ما يحقق له الخير والحياة الكريمة، فإذا مرض عضو فيه، وأحس بألم المرض، يسري الإحساس بالداء إلى الأعضاء جميعها، فاشتركت في الشعور بالقلق والأرق، وتجاوبت جميعها بشكوى العضو الجريح الذي أثر فيها.

وكذلك المجتمع يتكون من الأفراد والأسر والمؤسسات والهيئات، ولكل جزء فيه وظيفة يؤديها، وحرفة مهمة تسد حاجة الأمة، ولهذا يجب أن يسوده التضامن والتعاون، وأن تؤلف الرحمة بين مختلف أعضائه، وأن يكون الشعور بالرضا رابطته الجامعة، حتى ينعم بالحياة الطيبة، لا يكدر صفوها حقد حاقد، ولا يشعر فيه ضعيف بالذلة أمام القوي، وإنما يحس الجميع أنهم إخوة، تجمعهم راية واحدة، وأسرة تسمى أمة واحدة، وذلك ما يفهم من قوله تعالى:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}(الحجرات: 10)، وقوله جل جلاله:{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً}(الأنبياء:92)

وله من تماسك بعضه ببعض، وتعاون بعضه مع بعض، وكذلك المؤمنون، كما يفهم من قول الله تعالى فيهم:{أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ }(الفتح: 29)، { أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ }(المائدة: 54)، {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ }(الصف: 4).

مظاهر التكافل الاجتماعي:

أما مظاهر التكافل الاجتماعي في الإسلام، فهي على كثرتها يمكن أن ترد إلى الأصول الآتية:

1 - الشعور الصادق بالأخوة الشاملة، كما يفهم من قوله تعالى:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}(الحجرات: 10).

2 - التعاون على البر والتقوى، عملاً بقوله سبحانه وتعالى:{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}(المائدة:2).

لقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بالتعاون على البر والتقوى، لأنه سبيل الوحدة والتضامن، ونهاهم عن التعاون على الإثم والعدوان، لأنه طريق التفرق والتشرذم، قال جل شأنه:{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }(آل عمران: 105).

ولقد عرف المسلمون الأولون أن التعاون هو الروح السامية التي شرعها الله سبحانه لصلاح حالهم، وتقويم سلوكهم، فسارعوا إليه، وحافظوا عليه، وتعاونوا على البر والعمل الصالح، ونفسوا كرب إخوانهم المكروبين، ويسروا على المعسرين، روى مسلم عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال:(مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ...)[1].

3 - الإحساس بالمسؤولية قدر مشترك بين أفراد المجتمع جميعها، ومظهر واضح من مظاهر التكافل الاجتماعي، كما يفهم من قول النبي، صلى الله عليه وسلم:(كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ، فَالإِمَامُ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ، وَالعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ)[2].

يفهم من هذا الحديث الشريف أن كل فرد من أفراد الأمة مسؤول عما يعهد الله إليه القيام به، يستوي في ذلك الحاكم والمحكوم، والكبير والصغير، والمجتمع الإسلامي ممثلاً بالدولة مطالب بأن يأخذ على يد كل من يتهاون في أداء الواجب، أو يعبث بحقوق الآخرين، مهما تكن مكانته أو منزلته بين قومه، وإلا تعرض لهلاك، أو بلاء عظيم، كما يفهم من هذا الخبر:(أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّتْهُمُ المَرْأَةُ المَخْزُومِيَّةُ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟! ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ، قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

1. صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

2 صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب {قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا} [التحريم: 6]

وَسَلَّمَ، سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا)[1] وقالت عائشة، رضي الله عنها: سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهو في بيتي هذا يقول: (اللهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ) [2].

4 - أداء الزكاة: فقد فرضها الله سبحانه وتعالى على كل مسلم متى كمل عنده النصاب المقدّر شرعاً، مساعدة للفقراء ونحوهم بشروط خاصة، والقصد منها مساعدة القادر لغير القادر المحتاج، وهي أحد أركان الإسلام الخمسة، وفرض من الفرائض التي أجمعت عليها الأمة، واشتهرت شهرة جعلتها من ضرورات الدين، بحيث لو أنكر فرضها أحد خرج عن الإسلام، قال تعالى:{ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }(التوبة: 60).

ومما لا شك فيه أن الزكاة إذا جبيت وصرفت في الوجوه التي بينتها الآية الكريمة حققت معنى التكافل الاجتماعي، ولبت حاجة الفقراء والمساكين، فإن لم تكف كان حقاً على الأغنياء أن يمدوهم بما يكفيهم في المأكل والملبس، ولو أدى ذلك إلى أن يعيشوا عيش الكفاف، فإن لم يفعلوا؛ كان على الإمام أو ولي الأمر أن يجبرهم على بذل ما فضل عن حاجتهم من أموالهم.

وقد كان هذا اتجاه عمر، رضي الله عنه، حين قال: " لو استقبلت من الأمر ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فرددتها على الفقراء"[3] بل إن هذا الاتجاه الذي يوصي به رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حيث قال:(مَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلُ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي الْفَضْلِ)[4].

1. صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب منه.

2. صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم

3. الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي، 7/ 5013.

4. سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب في حقوق المال، وصححه الألباني.

إن المجتمع مسؤول عن كل فرد فيه، والإثم يقع على أفراده جميعاً إذا أصبح واحد منهم جائعاً لا يجد ما يسد به جوعه.

وقد أشاد النبي، صلى الله عليه وسلم، بالأشعريين؛ لأنهم كانوا كما قال:(إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ)(*).

ولا شك أن هذه الصورة لا تعدلها صورة أخرى فيما عرف الناس من أصناف التكافل الاجتماعي.

هذه هي أهم المظاهر والأصول التي يكون عليها التكافل الاجتماعي الذي لم يعرف له نظير في غير الإسلام، فلنحافظ عليها، ونكون متراحمين متسامحين، وأن نصلح ذات بيننا، وليحرص كل منا على ألا يظلم أحداً من الناس، فإن الله سبحانه وتعالى عفو كريم يحب العفو، ويثيب عليه، قال تعالى: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ }(الشورى: 40).

فالمسلمون أمة واحدة، لا يفرقهم شيء بعونه تعالى، والمؤمنون إخوة بنص القرآن الكريم، والتحاب بينهم جزء من العقيدة، وهم متعاونون متآلفون، ومقاليد العز والنصر بين أيدينا، نلمسها من خلال قوله سبحانه وتعالى:{ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}(الحج:40).

والله يقول الحق وهو الهادي إلى سواء السبيل

* صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام والنهد والعروض.

الفقراء والمساكين المستحقون للزكاة

الشيخ الدكتور محمد يوسف الحاج محمد
مفتي محافظة أريحا والأغوار

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الصادق الوعد الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين:-

إنَّ الله عزَّ وجل افترض على المسلمين عبادة مالية هي الزكاة، مواساة للفقراء، وتطهيراً لأموال الأغنياء، وجعلها الله تعالى من ضمن خمسة أركان أساسية، لا يصح دونها الإسلام، أخرج البخاري عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ)(*)

فالزكاة من الأركان الأساسية للإسلام، وقد بيَّن الحق سبحانه وتعالى بنفسه أصناف مستحقيها، فقال عزَّ من قائل: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}(التوبة:60)

والصنف الأول من مستحقي الزكاة هم الفقراء والمساكين، وكثيراً ما يقع المكلفون بإخراج الزكاة في حيرة من أمرهم، عندما يبحثون عن الفقراء والمساكين، فبأي معيار نحكم على الناس أنهم من الفقراء والمساكين؟ وما الفرق بين هذين الصنفين؟ وهل هما مصرفين مختلفين، أم مصرف واحد؟

* صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ»

من الواضح أن معرفة من هم الفقراء والمساكين، يمكننا من معرفة الفرق بينهما، ومن معرفة من الأولى بالزكاة إذا كثر من يحتاج إليها، أو يدعي ذلك، أما الفقراء فهم المصابون بالفقر، وهو في اللغة: من كُسر فقار ظهره، فلا يقوى على القيام، يقول ابن فارس: "الفقير: المكسور فقار الظهر، ومنه اشتق الفقير من المال"[1]، ويقول ابن منظور الإفريقي: "فقر: الفَقْر والفُقْر: ضِدُّ الغِنى، مِثْلُ الضَّعْفِ والضُّعْف. .. وقَدْرُ ذَلِكَ أَن يكُونَ لَهُ مَا يَكْفي عيالَه" [2]، وجاء في المعجم الوسيط الذي أصدره مجمع اللغة العربية في القاهرة: " (الْفَقِير) المكسور الفقار، ومخرج المَاء من الْقَنَاة، وَمن النَّاس من لَا يملك إِلَّا أقل الْقُوت"[3].

فاستعملت كلمة فقير في العرف اللغوي للدلالة على من لا يقوى على القيام بمصالح نفسه الأساسية، لعدم امتلاكه المال الكافي، تشبيهاً بمن لا يقوى على القيام لانكسار فقار ظهره، فالفقير إما أنه لا يملك شيئاً ألبتة، أو أنه يملك شيئاً لا يغنيه، ولا يسد حاجته، ويستدل على ترجيح هذا المعنى الأخير، بقول الراعي النميري[4]:

أَمّا الفقيرُ الذي كانتْ حلوبتُهُ وَفْقَ العيالِ فلم يُتْرَكْ له سَبَدُ[5]

يقول ابن قتيبة محتجاً بهذا البيت: "فَجعل للْفَقِير حلوبة، وَجعلهَا وفقاً لِعِيَالِهِ، أَي قدر قوتهم" [6]، فالفقر وصف نسبي، فربما كان سببه كثرة العيال، وجسامة المسؤوليات،

1. ابن فارس، زكرياء القزويني، مجمل اللغة لابن فارس، ص 703، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة - بيروت- 1986 م
2. الإفريقي، محمد بن مكرم، الإفريقي، لسان العرب، 5 / 60، الطبعة الثالثة، دار صادر – بيروت، 1414هـ
3. مجمع اللغة العربية في القاهرة، المعجم الوسيط، 2 / 697، دار الدعوة، دون رقم طبعة أو تاريخ نشر.
4. هو: عبيد بن حصين النميري، شاعر أموي، توفي سنة 90 هـ، وقال هذا البيت في قصيدة توجه فيها لعبد الملك بن مروان بالسؤال والشكوى من عسف العمال، انظر، ديوان الراعي النميري، ص 90، شرح وتعليق: د. واضح الصمد، الطبعة الأولى، دار الجيل بيروت 1995م.
5. السبد: الشعر أو الوبر، والمعنى أنه فقير لا يملك ذات شعر ولا ذات وبر. انظر المرجع السابق، ص 90.
6. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، غريب الحديث 1/ 191، المحقق: د. عبد الله الجبوري، الطبعة: الأولى، مطبعة العاني - بغداد، 1397م

وربما كان سببه المرض والعجز عن الاكتساب، وربما كان سببه بلاء عاماً، من حرب أو قحط أو أعاصير، ولكن المعنى المتحقق من تلك الأسباب عجز الدخل عن الوفاء بالضرورات المعيشة؛ من مأكل وملبس ومسكن.

والفقر من المظاهر الأساسية في حياة العرب أثناء الجاهلية وبعدها، والتي صورها الشعر العربي في مشاهد بيانية كثيرة، ومن أشهر ما قاله شعراء الجاهلية في الفقر، ما ورد عن عروة بن الورد الصعلوك الجاهلي البارز، حيث قال[1]:

إذا المرءُ لم يطلب معاشاً لنفسه شكا الفقرَ أو لامَ الصديق فأكثرا

وقوله[2]:

دعِيني للغنى أسعى فإنّي رأيتُ الناسَ شرُّهمُ الفقيرُ
وأبعدُهم وأهونُهم عليهم وإن أمسى له حسب وفير
ويُقصِيهِ النَّدِيُّ وتَزْدرِيهِ حليلته وينهره الصغير
ويلقى ذا الغنى وله جلال يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليلٌ ذنبُهُ والذنبُ جمٌّ ولكن للغِنى ربٌّ غفورُ

أما المسكين فهو في اللغة من السُكون للضعف الجسدي أو النفسي أو المادي، يقول الزبيدي في تاج العروس: " المِسْكِينُ: الذَّليلُ والضَّعيفُ "[3]، ثم اشتهر فيمن يذله الفقر، فيسكن لقلة القدرة المالية على الحركة، التي تتطلب قدرة مادية، يقول الأنباري في الزاهر: "المسكين، معناه في كلام العرب: الذي سكَّنه الفقر، أي قلل حركته. واشتقاقه من السكون؛

1. ابن الورد، عروة ، ديوان عروة بن الورد شيخ الصعاليك، ص 77، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية – 1998م
2. المرجع السابق، ص 79.
3. الزبيدي، محمد بن محمد، تاج العروس من جواهر القاموس 25/ 200،تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية دون رقم طبعة أو تاريخ نشر-.

يقال: قد تمسكن الرجل، وتسكن إذا صار مسكيناً، وتمدرع، وتدرع: إذا لبس المدرعة"[1].

ولذا فالمسكين لغة لا يقتصر على الجانب المادي، بل يتعداه إلى الجانب النفسي والجسدي، فقد قال تعالى عن بني إسرائيل: {وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ}(البقرة: 61)، يقول ابن عاشور في التحرير والتنوير: " والذِلة الصغَار، وهي بكسر الذال لا غير، وهي ضد العزة، ولذلك قابل بينهما السموأل أو الحارثي في قوله:

وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل

والمسكنة الفقر، مشتقة من السكون؛ لأن الفقر يقلل حركة صاحبه. وتطلق على الضعف، ومنه المسكين للفقير. ومعنى لزوم الذلة والمسكنة لليهود، أنهم فقدوا البأس والشجاعة، وبدا عليهم سيما الفقر والحاجة " [2].

أما عن الفرق بين الفقير والمسكين، فيقول العسكري في معجم الفروق اللغوية: "الفرق بين الفقير والمسكين: لا خلاف في اشتراكهما في وصف عدمي، هو عدم وفاء الكسب بالكلية، والمال لمؤنته، ومؤونة عياله. وإنما الخلاف في أيهما أسوأ حالاً. ومنشأ هذا الخلاف اختلاف أهل اللغة في ذلك،"[3].

وللفقهاء تعريفات عدة للفقير والمسكين، مقرونة معاً، لأنهما قرنا في القرآن الكريم معاً، فكان معناهما متشابكاً، ويحتاج إلى بيان، كما يأتي:

أولاً: السادة الحنفية: "الْفَقِيرُ مَنْ لَهُ أَدْنَى شَيْءٍ، وَالْمِسْكِينُ مَنْ لَا شَيْءَ لَهُ، وَهَذَا مَرْوِيٌّ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ "[4].

1. الأنباري، محمد بن القاسم، الزاهر في معاني كلمات الناس، 1/ 127، الطبعة: الأولى، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت، ، 1412 هـ 1992-.

2. ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، 1/ 528، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 هـ

3. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، معجم الفروق اللغوية، ص 409، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة: الأولى، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، 1412هـ

4. البابرتي، محمد بن محمد، العناية شرح الهداية، 2 / 261، دار الفكر، دون طبعة دون تاريخ.

ثانياً: السادة المالكية: " الفقير من له بلغة لا تكفيه لعيش عامه، والمسكين من لا شيء له بالكلية"[1].

ثالثاً: السادة الشافعية: "الفقير والله أعلم من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقعاً، زمناً كان أو غير زَمِن، سائلاً كان أو متعففاً، والمسكين من له مال أو حرفة لا تقع منه موقعاً، ولا تغنيه، سائلاً كان أو غير سائل"[2].

رابعاً السادة الحنابلة: " الفقير هو من لم يجد نصف كفايته...: المسكين: هو من يجد نصفها أو أكثرها"[3].

وللحنابلة تفصيل ومحاججة في إثبات زيادة الفقير حاجة عن المسكين، يقول البهوتي: "الْأَصْنَافِ الثَّمَانِيَةِ (الْفُقَرَاءَ) بَدَأَ بِهِمْ اتِّبَاعًا لِلنَّصِّ، وَلِشِدَّةِ حَاجَتِهِمْ.(وَهُمْ أَسْوَأُ حَالًا مِنْ الْمَسَاكِينِ) لِبُدَاءَةِ اللَّهِ بِهِمْ، وَإِنَّمَا يُبْدَأُ بِالْأَهَمِّ فَالْأَهَمِّ، وَقَالَ تَعَالَى {أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ} [الكهف: 79]، فَأَخْبَرَ أَنَّ لَهُمْ سَفِينَةً يَعْمَلُونَ فِيهَا، وَقَدْ سَأَلَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْمَسْكَنَةَ، وَاسْتَعَاذَ مِنْ الْفَقْرِ، فَقَالَ «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا، وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يوم القيامة»[4]، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَسْأَلَ شِدَّةَ الْحَاجَةِ، وَيَسْتَعِيذَ مِنْ حَالَةٍ أَصْلَحَ مِنْهَا، وَلِأَنَّ الْفَقِيرَ مُشْتَقٌّ مِنْ فِقَرِ الظَّهْرِ، فَقِيلَ: فَقِيرٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ أَيْ مَفْقُورٍ، وَهُوَ الَّذِي نُزِعَتْ فِقْرَةُ ظَهْرِهِ، فَانْقَطَعَ صُلْبُهُ. وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى {أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ} (البلد: 16)، وَهُوَ الْمَطْرُوحُ عَلَى التُّرَابِ، لِشِدَّةِ حَاجَتِهِ، فَأُجِيبَ عَنْهُ بِأَنَّهُ يَجُوزُ التَّعْبِيرُ عَنْ الْفَقِيرِ بِالْمِسْكَيْنِ مُطْلَقًا، وَأَنَّ هَذَا النَّعْتَ لَا يَسْتَحِقُّهُ بِإِطْلَاقِ اسْمِ الْمَسْكَنَةِ، وَالْفَقِيرُ: مَنْ لَا يَجِدُ شَيْئًا"[5].

1. الخرشي : محمد بن عبد الله شرح مختصر خليل للخرشي، ج 2 ص 212، دار الفكر للطباعة – بيروت، بدون طبعة وبدون تاريخ
2. الشافعي، محمد بن إدريس، الأم، ج 2، ص 77، دار المعرفة – بيروت، 1410هـ/1990م -دون طبعة-.
3. الكرمي، مرعي بن يوسف، دليل الطالب لنيل المطالب، ص 87، المحقق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الطبعة: الأولى، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض ، 1425هـ / 2004م.
4. سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء أن فقراء الماجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، وصححه الألباني.
5. البهوتي، منصور بن يونس، كشاف القناع عن متن الإقناع، 2 / 271 دار الكتب العلمية –دون تاريخ نشر أو رقم طبعة-. المؤلف: منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي (المتوفى: 1051هـ).

وعند التدقيق في كلام فقهاء المذاهب في الفقر والمسكنة، نجد أن الحنفية والمالكية والشافعية يجعلون الفقير أحسن حالاً من المسكين، ولكنهما يشتركان في عدم قدرتهما على سداد ضرورات الحياة، أما الحنابلة فيعكسون الوضع، ويقولون بأن المسكين أحسن حالاً من الفقير، مع أنَّه لا يستطيع كفاية نفسه ضرورات الحياة كالفقير، إذاً فالقدر الذي يتفق عليه الفقهاء أنَّ الفقير والمسكين كلاهما في حاجة إلى مساعدة مادية لتحقيق الكفاية المادية بما يقيهما الهلاك أو النقص المنغص للحياة، والباعث على التعاسة.

ومعنى ذلك أنَّ الفقير والمسكين مسميان لصنف واحد، ولكن باعتبارات مختلفة.، ولذا قيل في لفظ الفقراء والمساكين: إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، أي أنَّ الفرق بينهما لا يظهر إلا إذا قُرنا معاً في الذكر، فيكون الفقر باعتبار حقيقة الحاجة التي قد تخفى على الناس، بدلالة قوله تعالى:{لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ}(البقرة:273)، فحاجة الفقير المتعفف لم تظهر للجاهل به، ويحتاج الأمر إلى تدقيق في علامات الفقر لمعرفة حقيقة الأمر، يقول ابن عاشور ضمن تفسيره للآية الكريمة: "ومعنى تعرفهم بسيماهم أي بعلامة الحاجة"[1]، أي كأن يكون الثوب مرقعاً أو مرثياً أو قديماً، أو يكون الضعف البدني البادي على الشخص دليلاً على نقصان التغذية.

أما عن المسكين، فقال سبحانه وتعالى: {أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ} (البلد:16)، أي إن الحاجة ألجأته إلى التراب من قلة الملبس، وهذا يكون ظاهراً للعيان، يقول ابن عاشور: "والمتربة مصدر بوزن مفعلة أيضاً، وفعله ترب، يقال: ترب، إذا نام على التراب أي لم يكن له ما يفترشه على الأرض، وهو في الأصل كناية عن العري من الثياب التي تحول بين الجسد والأرض عند الجلوس والاضطجاع" [2].

1. ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، 3/ 75.

2. ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، 30/ 359.

وتجدر بنا مناقشة احتجاج الحنابلة لإثبات أنَّ الفقير أسوأ حالاً من المسكين، بأنَّ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، استعاذ بالله تعالى من الفقر، وسأل الله المسكنة؟ فهل يصح ذلك؟ وما دلالته؟

أما عن استعاذة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من الفقر، فهي صحيحة، بل ومقرون فيها الفقر بالكفر، أخرج الإمام أحمد عَنْ مُسْلِمِ بْنِ أَبِي بَكَرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَقُولُ: (اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفَقْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ)[1].

ويقول المباركفوري في تفسير هذا الحديث:" (اللهم إني أعوذ بك من الكفر) أي: من أنواعه (والفقر) أي: الفقر الذي لا يصحبه خير ولا ورع.. وقال القاري: أي من فتنة الفقر، أو فقر القلب المؤدي إلى كفران النعمة، وفي اقترانه بالكفر إشارة إلى ما ورد (كاد الفقر أن يكون كفرًا) حيث لم يكن راضيًا بما قسم الله له، وشاكرًا لما أنعم عليه"[2].

إنَّ النص النبوي في ذلك ثابت وواضح، فهو استعاذة من الفقر، فهل يحمل الفقر على معناه اللغوي أم الشرعي؟ الجواب أنه يحمل على كليهما معاً، لأن المعنى الشرعي في هذا المقام يستند إلى المعنى اللغوي، ويطابقه كما مرَّ سابقاً، وكليهما؛ أي المعنيين الشرعي واللغوي، يشيران إلى وضع يكون فيه الإنسان عاجزاً ومحتاجاً إلى الآخرين، وهذا مكروه للنفس فطرة وعقلاً ومآلاً، ودين الإسلام دين الفطرة، أي الطبع السليم الذي خلق الله عليه الناس، يقول تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (الروم:30)، يقول ابن عاشور: " فوصف الإسلام

1. مسند الإمام أحمد، مسند البصريين، حَدِيثُ أَبِي بَكَرَةَ نُفَيْعِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ كَلَدَةَ، ويقول شعيب الأرنؤوط هذا الحديث: « إسناده قوي على شرط مسلم».

2. المباركفوري، عبيد الله بن محمد، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، 8 / 244، الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند، الطبعة: الثالثة - 1404 هـ، 1984 م

بأنه فطرة الله، معناه أن أصل الاعتقاد فيه جار على مقتضى الفطرة العقلية، وأما تشريعاته وتفاريعه، فهي: إما أمور فطرية أيضاً، أي جارية على وفق ما يدركه العقل، ويشهد به، وإما أن تكون لصلاحه، مما لا ينافي فطرته. ..وقوانين المعاملات فيه هي راجعة إلى ما تشهد به الفطرة، لأن طلب المصالح من الفطرة"[1].

ومن المعروف استعاذته عليه الصلاة والسلام، من الأمراض، ومن الفتن، ومن كل ما يخل بمصالح النفس المادية أو الإيمانية، وهذا موافق تماماً للاستعاذة من الفقر، ومما يؤكد ذلك ما أخرجه الإمام مسلم عنِ النَّبِي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: (اللهُمَّ، إِنِي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالْتُقَى، والْعَفَافَ وَالْغَنَى) [2]، يقول القاضي عياض، عليه رحمة الله تعالى، في شرح هذا الحديث: " والغنى: هو غنى النفس والاستغناء عما في أيدي الناس"[3]، ومن المعروف أن الصدقة محرمة على سيدنا رسول الله، وعلى آل بيته الكرام، تنزيهاً لهم عن منَّة الناس[4]، فكيف لا يستعيذ عليه الصلاة والسلام من الحاجة المادية للناس، وهو محرم عليه قبول الصدقة منهم؛ لأنها لا تليق بمكانته، ومكانة آله، عليه وعليهم الصلاة والسلام؟!

أما سؤال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، المسكنة، فاختلف العلماء في ثبوته سنداً، ولكن لا يختلف العلماء في عدم حمل معناه على حاجة الناس، أخرج الترمذي عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا، وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ المَسَاكِينِ يَوْمَ القِيَامَةِ» فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ

1. ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، 21 / 91.
2. صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل.
3. السبتي، عياض بن موسى، شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِي عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، 8 / 224.
4. أخرج الإمام البخاري أنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - قَالَ أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِي - رضى الله عنهما - تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - «كِخٍ كِخٍ - لِيَطْرَحَهَا ثُمَّ قَالَ - أَمَا شَعَرْتَ أَنَّا لاَ نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ» صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب مَا يُذْكَرُ فِي الصَّدَقَةِ لِلنَّبِي، صلى الله عليه وسلم.

قَبْـلَ أَغْنِيَائِهِـمْ بِأَرْبَعِـينَ خَرِيفًـا، يَـا عَائِشَـةُ لَا تَـرُدِّي المِسْـكِينَ وَلَـوْ بِشِـقِّ تَمْـرَةٍ، يَـا عَائِشَـةُ أَحِـبِّي المَسَـاكِينَ وَقَرِّبِيهِـمْ، فَـإِنَّ اللَّـهَ يُقَرِّبُـكِ يَـوْمَ القِيَامَـةِ)[1]، وقـد صحـح هـذا الحديـث الألبـاني في سلسـلة الأحاديـث الصحيحـة[2]، ولكنـه أعقـب ذلـك بنقـل كلام البيهقـي في بيـان حمـل معنـاه عـلى غـير الحاجـة الماديـة[3].

وضعـف هـذا الحديـث ابـن تيميـة، حيـث جـاء في الفتـاوى الكـبرى:" ومما يـروون عنـه أيضـا: (اللهـم أحيـني مسـكيناً، وأمتـني مسـكيناً، واحـشرني في زمـرة المسـاكين)، فأجـاب: هـذا يـروى، لكنـه ضعيـف، لا يثبـت، ومعنـاه أحيـني خاشـعاً متواضعـاً، لكـن اللفـظ لـم يثبـت"[4]. وقـال أيضـاً: "هـذا الحديـث قـد رواه الترمـذي ، وقـد ذكـره أبـو الفـرج (ابـن الجـوزي) في الموضوعـات، وسـواء صـح لفظـه أو لـم يصـح : فالمسـكين المحمـود هـو المتواضـع الخاشـع للـه؛ ليـس المـراد بالمسـكنة عـدم المـال، بـل قـد يكـون الرجـل فقـيراً مـن المـال، وهـو جبـار.

وعليـه؛ فالفقـر والمسـكنة وصفـان لموصـوف واحـد هـو غـير المكتفـي ماديـاً، وهـذا شيء نسـبي، يتعلـق بقـدر الدخـل، وقـدر الالتزامـات الماديـة، فقـد يكـون دخـل شـخصين متسـاوٍ، ولكـن أحدهمـا كثـير العيـال، ويسـكن بالأجـرة، فيكـون فقـيراً، أمـا الآخـر فعيالـه أقـل، والتزاماتـه أيـسر، فـلا يكـون فقـيراً.

وفي هـذا السـياق يجـب التنبـه إلى أنَّ معطـي الصدقـة عليـه البحـث عـن الأشـد حاجـة مـن بـين الفقـراء، فأجـر الصدقـة يتفـاوت بأسـباب عديـدة، كأن تكـون سراً، وأبعـد عـن الريـاء، وأن تكـون

1. سنن الترمذي، كتاب الزهد، بَابُ مَا جَاءَ أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، وصححه الألباني.
2. الألبـاني، محمـد نـاصر الديـن، : سلسـلة الأحاديـث الصحيحـة وشيء مـن فقههـا وفوائدهـا، 1/ 619 ، الطبعـة: الأولى، مكتبـة المعـارف للنـشر والتوزيـع، الريـاض،دون تاريـخ نـشر.
3. المرجع السابق الجزء والصفحة نفسهما.
4. ابـن تيميـة، أحمـد بـن عبـد الحليـم، : مجمـوع الفتـاوى 18/ 382، المحقـق: عبـد الرحمـن بـن محمـد بـن قاسـم، مجمـع الملـك فهـد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م.

على الفقراء من ذوي الرحم، أو في الأوقات الفضيلة، ومن أهم تلك الأسباب أن تكون على الأشد حاجة، جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية: " إِعْطَاءُ الْمُسْتَحِقِّينَ الزَّكَاةَ لَيْسَ بِدَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْفَضْلِ، بَلِ يَتَمَايَزُ. فَقَدْ نَصَّ الْمَالِكِيَّةُ عَلَى أَنَّهُ يُنْدَبُ لِلْمُزَكِّي إِيثَارُ الْمُضْطَرِّ أَيِ الْمُحْتَاجِ، عَلَى غَيْرِهِ، بِأَنْ يُزَادَ فِي إِعْطَائِهِ مِنْهَا دُونَ عُمُومِ الأَصْنَافِ"[*].

وهذا أمر بدهي، فطالما أن الفقر صفة عامة لمستحقي الزكاة، فكلما اشتدت هذه الصفة كان الموصوف بها أولى بالمساعدة، فهناك فرق بين من له دخل، وعليه التزامات أكثر من دخله، وبين من لا دخل له أصلاً، وهناك فرق بين فقير صحيح الجسم، وبين فقير مريض، يحتاج إلى العلاج فوق حاجته إلى الغذاء.

وعوداً على بدء، فإن معرفة الفقير، والأشد فقراً، يحتاج إلى التدقيق في حالات الفقر الظاهرة والباطنة عبر سؤال المحيط الاجتماعي للإنسان، واستشراف الحاجة الباطنية من العلامات الظاهرة، فالسائل قد يكون فقيراً، وقد لا يكون، ومن لا يسأل الناس قد يكون مكتفياً، وقد يكون في مسيس الحاجة، ولكنه متعفف، والمعطي قد يصيب الفقير وقد يخطئه، وما يبرئ الذمة هو الاجتهاد في التحري والبحث عن الأشد فقراً، فالزكاة مال الله، وهو أمانة في يد الغني، والفقير هو مستحق لتلك الأمانة، فلا بد من البحث عن صاحب الأمانة حتى تبرأ ذمة حاملها، والمجتهد في ذلك مأجور إن أصاب أو أخطأ. والله تعالى أعلى وأعلم.

* الموسوعة الفقهية الكويتية، 23/ 302، الطبعة الأولى ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، (من 1404 - 1427 هـ)

مِن أحكام الخِطبة في الإسلام

الشيخ د. يسري عيدة
مساعد مفتي - دائرة إفتاء الخليل

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد؛

فالإسلامُ الحنيف أوْلَى الزواجَ عنايةً خاصةً في تشريعاته، واعتبر عقدَ الزواج واحدًا من أهم العقود التي يجريها المسلمون في حياتهم؛ لأنَّه الطريق المستقيم الموصل إلى استحلال ما كان حرامًا قبله؛ ولأنَّ الأصلَ فيه الديمومة والتأبيد، وعلى الأزواج أنْ يتحمَّلوا آثارَ هذا العقد النبيل، ففي هذا العقد من التكاليف والالتزامات ما ليس في غيره، وتترتب عليه آثار عديدة، مِن أَهمِّها: حِلُّ العِشرة الزوجية، وثُبوت النسب، وحُرمة المصاهرة[1]، وأكّد الإسلامُ على مكانة هذا العقد، فقد سمّاهُ اللهُ سبحانه وتعالى ميثاقًا غليظًا، قال الله جَلَّ وعَلا: { وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا } (النساء: 21).

ومن القواعد التي نصَّ عليها الفقهاء في مصنفاتهم: " الأصلُ في الأبضاع[2] الحُرمة، ويُحتاط فيها ما لا يحتاط في الأموال "[3]؛وما ذلك إلا لتحقيق مقصدٍ مهمٍّ من مقاصد الشريعة الغراء، ألا وهو حفظ العِرض والنسب.

ومن المعلوم أنَّ من ضمن أهمّ مقاصد الزواج، تكوينُ الأسرة، التي هي اللَّبِنة الأولى في بناء المجتمع، واستقرار المجتمع متوقفٌ على استقرار الأُسر المكونة له، مما يؤكد أهميّة عقد النكاح[4].

1. شلبي، أحكام الأسرة في الإسلام، ص 50. عبد الرحمن عتر، خِطبة النكاح، ص 70.
2. الأبضاع: جمع بُضع، وهو: الفَرْج. يُنظر: ابن منظور، لسان العرب 8/ 12. الزبيدي، تاج العروس 1 /5103.
3. الندوي: علي أحمد، القواعد والضوابط المستخلصة من التحرير، ص 480.
4. أبو عرقوب: الشيخ المفتي حسّان، أثر العدول عن الخِطبة، ص1، من خلال موقع: دار الإفتاء الأردنية الرسمي عبر الإنترنت aliftaa.jo.

ولأجل ما تقدم من بيان أهميّة عقد النكاح وخطورته؛ شُرعت الخِطبةُ، كمقدمة تسبق هذا العقدَ الخطيرَ؛ كي تترتّبَ على العقدِ آثارُهُ بعد رَوِيَّةٍ ونَظرٍ، والأخذ بالوصايا النبوية المباركة في تزويج الرّجُل صاحب الخُلق والدين، واختيار المرأة كذلك، وإلا حصل جرّاء الاختيار الخاطئ من النظر إلى الجاه، والمنصب، والمال، والجمال، دون الخُلق والدِّين، كثير من المشكلات الأسرية، مما قد يؤدي إلى الطلاق في نهاية المطاف.

وأقترح وأنصح بِشِدّة أنْ يَتِمَّ إلزامُ الخاطب والمخطوبة بدورات تأهيلية من قِبَلِ المحاكمِ الشرعية في بلادنا، وعموم بلاد المسلمين، قبل إجراء عقد الزواج لهما؛ للتعريف بأساسات الحياة الزوجية، من حيث: أسس اختيار الخاطب والمخطوبة، وما المسموح فيها وما الممنوع، والعقد وما يترتب عليه، ونحو ذلك من تفاصيل يتمُّ طرحها وتناولها من ذوي الخبرة والاختصاص والكفاءة؛ تفاديًا لكثيرٍ من المشكلات التي تحصل في مراحل هذه المسيرة كلها، ابتداء من الخطبة، وانتهاءً بالدخول، وما بعده، مع التنبيه إلى ضرورة التروي وعدم الاستعجال بإجراء عقد النكاح، وما يُكتب فيه من مهرٍ وتبعاتٍ بعد فترة قصيرة جدًا من الخِطبة، وقبل أنْ يكتشف كلٌّ منهما حقيقةَ الآخر، ومن ثَمّ حصولُ الفراق؛ لعدم الاتفاق والوِفاق، فيُصبح الأمرُ أكثرَ تعقيدًا؛ لاعتبار الفتاة بالعقد زوجة للعاقد، ومن ثَمَّ إنْ كان الفِراق من جهته، فيُلزم بإعطائها نصفَ ما هو مكتوب لها في العقد؛ لقول الله سبحانه وتعالى: { وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (البقرة: 237) ، وإن كان الفراقُ من طرفها، فتلزم برد ما استلمته [*].

وتجدر الإشارة إلى أنَّه وبالرّغم من أنَّ المخطوبة تعتبرُ أجنبيةً عن الخاطب،فإنه يمكن أن تحدث تجاوزات ومخالفات شرعية كثيرة، ينبغي لأولياء الأمور أنْ ينتبهوا وينبّهوا إليها؛ تفاديًا لحوادث وأحوال ومشكلات وتداعيات هم في غِنىً عنها.

* الغالب على كثير من تلك الحالات، حلّها بالتفاهم والتراضي.

* تعريف الخِطبة.

أوّلًا: الخِطبة لغةً.

خلاصة معنى الخِطبة لغة: طلبُ الرجلِ المرأةَ للزواج [1].

ثانيًا:الخِطبة اصطلاحًا.

عرّف الفقهاء الخِطبة بتعريفات متقاربة، تدور حول معنى واحد، وهو طلب الزواج من المرأة[2].

ويمكن تعريف الخِطبة بأنَّها: التماس التزوّج، على وجه تصِح به شرعًا [3].

* دليلُ مشروعيةِ الخِطبة.

ثبتت مشروعية الخِطبة في القرآن الكريم والسُّنة المطهّرة.

أوّلًا: القرآن الكريم:

قال الله سبحانه وتعالى: { وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ } (البقرة: 235).

فالآية واضحة الدلالة على جواز خِطبة المعتدة من وفاة تعريضًا وتلميحًا، أثناء عِدّتها، وجواز ذلك بعد انتهاء عدتها تصريحًا من باب أولى، ويُستفاد منها كذلك: جواز خِطبة غير المُعتدات[4].

ثانيًا: السُّنة النبويّة:

جاء في السنّة القولية والفعلية جملةٌ من الأحاديث التي تدل على مشروعية الخِطبة واستحبابها، من ذلك:

---

1. ابن منظور، لسان العرب 1 /360.الفيروز آبادي، القاموس المحيط 1/ 103.الرازي، الصحاح في اللغة 1 /177.الفيومي، المصباح المنير، ص66.

2. ابن عابدين، حاشية ابن عابدين 4/66.النفراوي، الفواكه الدواني 2/15.الخطيب الشربيني، مغني المحتاج 3/ 135.ابن قدامة، المغني 7/ 520.

3. الدُّرَيني، بحوث مقارنة في الفقه الإسلامي وأصوله 2/ 510. شلبي، أحكام الأسرة في الإسلام، ص 50. العُسيلي، الفروق الفقهية ص 65. الرجوب، أحكام الخِطبة في الفقه الإسلامي، ص 33.

4. ابن العربي، أحكام القرآن 1 /212 - 213. أبو عرقوب، أثر العدول عن الخِطبة، ص3.

أوّلًا: من السّنّة القولية:

1 - حديث جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (إِذَا خَطَبَ أَحَدُكُم الْمَرْأَةَ، فَإِن اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْظُرَ مِنْهَا إِلَى مَا يَدْعُوهُ إِلَى نِكَاحِهَا فَلْيَفْعَل)[1].

ويدل الحديث على مشروعية الخِطبة، حيثُ أرشّدَ النبيُّ، صلى الله عليه وسلم، جابرَ إلى ما ينبغي أنْ يفعلَه الخاطبُ من أمْرِ النظر إلى المخطوبة، وهذا يدلُّ على الجواز، بل الاستحباب.

2 - عن ابن عُمَرَ، أنَّه كان يَقُولُ: (نَهَى النَّبِيُّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يَبِيعَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَلاَ يَخْطُبَ الرَّجُلُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ، حَتَّى يَتْرُكَ الخَاطِبُ قَبْلَهُ أَوْ يَأْذَنَ لَهُ الخَاطِبُ)[2].

دلَّ الحديثُ الشّريف على أنَّ للخاطبِ الأولِ حقًّا في المخطوبة، ولا يسقط إلا بإذنه، أو بترك الخطبة، وهذا الحقُّ لم يكن ليُعتبر لولا مظنّة الخِطبة، التي اعتبرها الشارع، ورتَّبَ حَقَّ الخاطب عليها، وفي هذا دليل على جوازِ الخِطبة، واحترامِ حقِّ الخاطبِ الأول في خطبته [3].

ثانيًا: من السنّة الفعلية:

ثبت عن النبيِّ، صلى الله عليه وسلم، أنَّه خطَبَ نساءَه، ومن ذلك مثلا:

خطب النبيُّ، صلى الله عليه وسلم، أمَّ المؤمنين عائشةَ بنت أبي بكر من أبيها. فقال له أبو بكر: إنَّما أنا أخوك. فقال له النبيُّ، صلى الله عليه وسلم : (أَنْتَ أَخِي فِي دِيْنِ اللهِ وَكِتَابِهِ، وَهِيَ لِي حَلَالٌ)[4]، وخطب النبيُّ كذلك حفصة[5] وأم سلمة [6].

فخِطبةُ النبيِّ، صلى الله عليه وسلم لنسائه، دليلٌ واضحٌ على جواز الخِطبة، وبيانٌ لمشروعيتها.

---

1. سنن أبي داود، كِتَاب النِّكَاحِ، بَابٌ فِي الرَّجُلِ يَنْظُرُ إِلَى الْمَرْأَةِ وَهُوَ يُرِيدُ تَزْوِيجَهَا، وحسنه الألباني.
2. صحيح البخاري،كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ لاَ يَخْطُبُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّى يَنْكِحَ أَوْ يَدَعَ.
3. العطّار: عبد الناصر توفيق، خِطبة النساء في الشريعة الإسلامية، ص13.
4. صحيح البخاري، كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ تَزْوِيجِ الصِّغَارِ مِنَ الكِبَارِ.
5. ابن حجر، فتح الباري 9/ 201.
6. مسند أحمد ، مسند النساء، حَدِيثُ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ، صلى الله عليه وسلم، وصححه الألباني في إرواء الغليل.

* حُكمُ الخِطبةِ:

ذهب جمهور الفقهاء[1] إلى أنَّ الخِطبة جائزة [2]؛ لقول الله سبحانه وتعالى: { وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ }(البقرة: 235) .

وذهب الشافعيةُ في المعتمد عندهم[3] : إلى أنّ الخِطبةَ مُستحبة؛ لِفِعْلِ النبيِّ، صلى الله عليه وسلم من خِطبته لنسائه.

والقول بالاستحباب، والله أعلم، هو الأرجح؛ لما ثبت من خِطبة النبيِّ، صلى الله عليه وسلم، لنسائه؛ وَلِحثِّ النبي، صلى الله عليه وسلم، الخاطب على رؤية المرأة قبل تزوّجها [4]؛ ولأنَّ في الخِطبة من الحِكم والفوائد، ما يكون أدعى للقول باستحبابها.

* التكييف الفقهي للخِطبة:

الخِطبةُ وعدٌ بالزواج، وليست عقدًا، فلا تُحِلُّ حرامًا، ولا تُحرِّم حلالًا [5]، ولا ينعقد بها الزواج، ومن ثَمّ، فلكلٍّ مِن الخاطب والمخطوبة أنْ يرجعَ عن الخِطبة، وليس لأحدٍ عليه سبيلٌ، كإكراه، أو إلزام لإتمامه - حتى القضاء -؛ لاستعماله خالص حقِّه في ذلك[6].

وقد نصّت المادة الثالثة من قانون الأحوال الشخصية، على أنَّه: (لا ينعقد الزواج بالخطبة، ولا بالوعد، ولا بقراءة الفاتحة، ولا بقبض أي شيء على حساب المهر، ولا بقبول الهدية).

وبمجرد الخِطبة، والموافقة المبدئية على الارتباط بالمرأة، وحيث تمّت النظرة الشرعية لكلٍّ من الخاطب والمخطوبة، لا يجوز للمخطوبة بعد ذلك أنْ تُظهِرَ أمامَ خطيبها إلا الوجهَ

1. الكاساني، بدائع الصنائع 5/122. الحطاب، مواهب الجليل 3 /411. الخطيب الشربيني، مغني المحتاج 3/ 135. ابن قدامة، المغني 7 /110.

2. أمّا إن كان هناك مانعٌ من موانع النكاح، كأن تكون المرأة من محارمه، أو أن تكون معتدة، أو أن يكونا مُحرِمَين ... فتكون الخِطبة حينئذ مُحرَّمة.

3. الخطيب الشربيني، مغني المحتاج 3 /135. وفي قول آخر عندهم: أنها تأخذ حكم النكاح.

4. السرخسي، المبسوط 10 /100. النووي، روضة الطالبين 6/ 15.

5. الدريني، بحوث مقارنة في الفقه الإسلامي وأصوله 2 /514. السرطاوي، شرح قانون الأحوال الشخصية الأردني 1/ 35. العطّار، خِطبة النساء في الشريعة الإسلامية ص 5.

6. أبو زهرة، الأحوال الشخصية ص 31. نبيل: المستشار محمد، خِطبة النكاح وآثار العدول عنها في الإسلام، عبر موقع: منتدى قوانين قطر http://mnq40.net

والكفين، مع التَّستّر التامّ بالزِّي الشرعي، وعدم وضع أيٍّ من أنواع الزينة والعطور، كما أنه لا يجوز للخاطب أن يختلي بالمخطوبة؛ لأنه يُعتبر أجنبيًا بالنسبة إليها، كغيره من الأجانب[1]، وقد نهى النبيُّ، صلى الله عليه وسلم، عن الخلوة بالأجنبية، فقال: (وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلَا يَخْلُوَنَّ بِامْرَأَةٍ لَيْسَ مَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ مِنْهَا، فَإِنَّ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ)[2].

وقد منع النبيُّ، صلى الله عليه وسلم، من الخلوة بالمرأة الأجنبية دون مَحْرم – ومن ذلك المخطوبة-؛ خوفًا مما قد تجُرّهُ من أضرار وعواقبَ وخيمة على الطرفين، وخاصة إنْ وقعا في المحظور[3]، و مما يؤسف له جدًا: تساهلُ بعض الناس في السماح للخاطب بالخلوة مع مخطوبته وحدهما، فيجلسان عدة ساعات معًا، دون وجود مَحْرمٍ، مع إغلاق الباب عليهما، حيث تكون المخطوبة قد لبست القصيرَ، أو الضيِّق، أو الشّفّاف، فظهر شيء من ساعديها، أو ساقيها، أو صدرها، وكأنها زوجته ! وقد تحصل من جرّاء هذا التساهل أمورٌ لا تُحمد عقباها.

أمَّا الجلوس مع المخطوبة بوجود محرمها، والحديثُ معها بأدبٍ، مع التَّستر التامِّ منها، فلا بأس به.

* ما يجوز للخاطب النظر إليه من الفتاة التي يريد خطبتها:

أوجب الشارعُ الحكيمُ غضَّ البصر على كلٍّ مِن الرّجُلِ والمرأة، فقال الله سبحانه وتعالى: { قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ }(النور: 30). وقال الله جلَّ وعَلا: { وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ}(النور:31).

إلا أنَّه يُستحبُّ لمن أراد نكاحَ امرأة أنْ ينظرَ إليها[4]؛ لأنَّ ذلك أدعى إلى التوافق والانسجام، وطمأنينة النفس من الطرفين، مما يكون سببًا في دوام العشرة - في الغالب -، ويُستفاد هذا الاستحباب من القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية، وفق الآتي:

1. عفيف طبّارة، روح الدين الإسلامي ص 47. عبد الرحمن عبد الخالق، الزواج في ظِلّ الإسلام، ص 61 - 62.
2. مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند جابر بن عبد الله، رضي الله عنه، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره.
3. الأعظمي، أحكام الزواج، ص 14. البهيّ الخُولي، الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة، ص 52.
4. الكاساني، بدائع الصنائع 5 /122. الحطّاب، مواهب الجليل 3/404. الخطيب الشربيني، مغني المحتاج 4 /270. ابن قدامة، المغني 7/ 73.

من القرآن:

قال الله سبحانه وتعالى: { لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ }(الأحزاب: 52).

وجه الدلالة: لا يُعرف حُسن المرأة من عدمه إلا بعد النظر إليها، ففي هذه الآية دلالة واضحة على مشروعية نظر الخاطب إلى المخطوبة.

ومن السُّنّة:

حثَّ النبيُّ، صلى الله عليه وسلم، على النظر إلى المخطوبة، في أحاديث عدة، منها:

1 - عن سهل بن سعد، أنَّ امرأة جاءت إلى رسولِ اللهِ، صلى الله عليه وسلم، فقالت:(يَا رَسُولَ اللَّهِ، جِئْتُ لِأَهَبَ لَكَ نَفْسِي، فَنَظَرَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، فَصَعَّدَ النَّظَرَ إِلَيْهَا وَصَوَّبَهُ، ثُمَّ طَأْطَأَ رَأْسَهُ...)[1].

2 - عن المغيرة بن شعبة، أَنَّهُ خَطَبَ امْرَأَةً، فقال له النبيُّ، صلى الله عليه وسلم: (انْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا)[2].

3 - عن أبي هريرة، قال:(كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ، صلى الله عليه وسلم، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ: أَنَظَرْتَ إِلَيْهَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَاذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّ فِي أَعْيُنِ الْأَنْصَارِ شَيْئًا)[3].

4 - عن جابر، قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (إِذَا خَطَبَ أَحَدُكُم الْمَرْأَةَ، فَإِن اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْظُرَ مِنْهَا إِلَى مَا يَدْعُوهُ إِلَى نِكَاحِهَا فَلْيَفْعَل)[4].

وجه الدلالة من الأحاديث السابقة: نظر النبيِّ، صلى الله عليه وسلم، إلى التي وهبت نفسها له، وأمره أصحابه بالنظر للمخطوبة، دليلٌ واضح على مشروعية النظر إليها، بل واستحبابه.

1. صحيح البخاري، كِتَابُ فَضَائِلِ القُرْآنِ، بَابُ القِرَاءَةِ عَنْ ظَهْرِ القَلْبِ.
2. سنن الترمذي، أَبْوَابُ النِّكَاحِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي النَّظَرِ إِلَى المَخْطُوبَةِ، وصححه الترمذي.
3. صحيح مسلم، كِتَابُ النكاح، بَابُ نَدْبِ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِ الْمَرْأَةِ وَكَفَّيْهَا لِمَنْ يُرِيدُ تَزَوُّجَهَا.
4. سنن أبي داود، كِتَاب النِّكَاحِ، بَابٌ فِي الرَّجُلِ يَنْظُرُ إِلَى الْمَرْأَةِ وَهُوَ يُرِيدُ تَزْوِيجَهَا، وحسنه الألباني

ولو حصل الزواجُ مباشرة دون النظرِ إلى المخطوبة، صحَّ الزواج[1]، إلّا أنّه قد يكون زواجًا غير محمود العاقبة؛ لما قد يترتب عليه من تبعاتٍ؛ جرّاء عدم النظر إلى المخطوبة ابتداءً، وخاصة ما يكون من عدم التوافق والانسجام والألفة، لمخالفة وصية رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في حثّه على النظر إلى المخطوبة.

وقد اتفق الفقهاءُ على جواز النظر إلى وجه المخطوبة[2]، واختلفوا فيما زاد على ذلك على خمسة أقوال:

القول الأول: يجوز للخاطب النظر إلى الوَجْه والكفين فحسب. وهو مذهب جمهور الفقهاء من الحنفية[3] والمالكية[4] والشافعية[5] ورواية عند الحنابلة[6].

القول الثاني: يجوز النظر إلى الوجه والكفين والقدمين. وهو مذهب بعض الحنفية [7].

القول الثالث: تبدو المخطوبةُ أمامَ الخاطب كما تبدو أمامَ محارمها غالبًا، فينظرُ إلى الشَّعْر والرقبة والساعدين والساقين، بالإضافة إلى الوجه والكفين. وهو المعتمد عند الحنابلة[8].

القول الرابع: ينظرُ إلى مواطنِ اللَّحمِ منها. وهو مذهب الأوزاعي[9].

القول الخامس: ينظرُ إليها حاسرةً. نُسب إلى داود الظاهري وابن حزم[10]، وهو رواية عند الحنابلة[11] .

1. ابن تيمية، مجموع الفتاوى 29 /355.
2. ابن قدامة، المغني 6/ 552.
3. الزيلعي، تبيين الحقائق 6 /17. ابن عابدين، حاشية ابن عابدين 6 /370.
4. الحطّاب، مواهب الجليل 3 /404. الدسوقي، حاشية الدسوقي 2 /215. الأزهري، الثمر الداني 1/ 661.
5. النووي، روضة الطالبين -7/19 20. الماوردي، الحاوي 9 /34.
6. ابن قدامة، المغني 7 /454. المرداوي، الإنصاف 8 /16.
7. الزيلعي، تبيين الحقائق 6 /17. ابن عابدين، حاشية ابن عابدين 5/ 325. قال بهذا الكرخي من الحنفية.
8. ابن قدامة، المغني 7/ 454. المرداوي، الإنصاف 8 /18.
9. المراجع السابقة. وزارة الأوقاف الكويتية، الموسوعة الفقهية الكويتية 19 /199.
10. ابن حزم، المحلى 9/ 161.
11. ابن قدامة، المغني 6 /553. البهوتي، كشّاف القناع 5 /10.

وقد استدلَّ أصحاب كلٍّ قول على ما ذهبوا إليه بأدلة عدة، ويترجح لي ويتقوّى عندي ما ذهب إليه أصحاب القول الأول، الذي قيد النظر المباح فقط إلى الوجه والكفين وهو رأي جمهور الفقهاء.

* نظرُ المخطوبة إلى الخاطب:

يُندبُ للمخطوبة أنْ تنظرَ إلى خاطبها؛ قياسًا على استحباب نَظَرِه إليها؛للاشتراك في العلة الواردة في قول النبيِّ، صلى الله عليه وسلم:(انْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا)[1].

بل إنَّ المرأةَ أولى بالنظر من الخاطب؛ وذلك لأنَّ الرجُل يُفارق من لا تعجبه، أمّا بالنسبة إليها، إنْ حصل الزواجُ دون رؤيته، وكان دميمَ الخِلقة مثلًا، ونحوها من اعتبارات مما يستحيل معها استمرار الحياة الزوجية، فلا تستطيع أنْ تفارقَه إلَّا عن طريق الخُلع [2]، ونحوه من أحوال يُفَرّقُ فيها القاضي بين الزوجين، مما هو منصوصٌ عليه في قوانين الأحوال الشخصية، المعمول بها في البلدان الإسلامية والعربية، كقضايا الشقاق والنزاع، والتفريق للضرر والغيبة ونحوه[3].

والمرأة لها حقّ الاختيار، إن شاءت قبلت به، وإن شاءت رفضت، ولا يجوز إجبارها على الزواج ممن لا ترغب فيه، فحينما تنظر بنفسها إلى الخاطب، يرتفع اللوم عن وليِّها[4].

ويجوز للمخطوبة أنْ تنظرَ إلى وجه الخاطب وكفّيه، وما يبدو منه غالبًا غير عورته، فتنظر إلى ما ظهر منه، دون الباطن، ولا يُعدّ جسم الخاطب عورة، إلا ما بين الصّرة والركبة، ويجوز للمخطوبة كذلك أنْ تنظرَ إلى الخاطب ولو بغير إذنه، ودون علمه، في حدود آداب الإسلام وتعاليمه[5].

والحمد لله ربِّ العالمين

---

1. سنن الترمذي، كتاب النِّكَاحِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي النَّظَرِ إِلَى المَخْطُوبَةِ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.
2. وهو فراق الزوج امرأته بعوض يأخذه منها، أو من غيرها، بألفاظ مخصوصة. ابن عابدين، حاشية ابن عابدين 2/ 766. ابن جُزيّ، القوانين الفقهية، ص232. الخطيب الشربيني، مغني المحتاج 3 /262. ابن قدامة، المغني 7 /67.
3. العطّار، خِطبة النساء في الشريعة الإسلامية ص 119.
4. العِتر، خِطبة النكاح، ص 209 - 210.
5. ابن عابدين، حاشية ابن عابدين 5 /237. الدسوقي، حاشية الدسوقي 2/215. النووي، المجموع 19 /114. البهوتي، كشّاف القناع 5/ 9 - 10. العطّار، خِطبة النساء في الشريعة الإسلامية ص 119.

أنت تسأل والمفتي يجيب

فتاوى

الشيخ محمد أحمد حسين / المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية

1. الاعتكاف في مصلى المنزل بدلًا من المسجد بسبب وباء كورونا

السؤال: في الوضع الحالي وبسبب تعذر إقامة شعيرة الاعتكاف في المساجد؛ هل يصح الاعتكاف في المنزل، في الغرفة المخصصة للصلاة، "مصلى المنزل" ؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله أجمعين، وبعد؛

الجواب: فيشترط لصحة الاعتكاف أن يكون في مسجد، وهذا باتفاق الفقهاء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة[1]، وذلك لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾[البقرة: 187]، قال ابن حجر، رحمه الله: " وجه الدَّلَالَةِ مِنَ الْآيَةِ أَنَّهُ لَوْ صَحَّ- أي الاعتكاف- فِي غَيْرِ الْمَسْجِدِ، لَمْ يَخْتَصَّ تَحْرِيمُ الْمُبَاشَرَةِ بِهِ؛ لِأَنَّ الْجِمَاعَ مُنَافٍ لِلِاعْتِكَافِ بِالْإِجْمَاعِ، فَعُلِمَ مِنْ ذِكْرِ الْمَسَاجِدِ أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّ الِاعْتِكَافَ لَا يكون الا فِيهَا"[2].

وعليه؛ فالاعتكاف شعيرة خاصة بالمساجد، ولا يصح أداؤها في مصليات البيوت، وإذا فات الاعتكاف صاحبه بعذر، فيُرجى أن يكتب الله له الأجر، فالنبي، صلى الله عليه وسلم،

1. حاشية ابن عابدين 2/ 441، وحاشية العدوي 1/ 410، والمجموع 6/ 483، وكشاف القناع 2 /351 – 352

2. فتح الباري 4/ 272

يقول: «إِذَا مَرِضَ العَبْدُ، أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا»[1]، كما أن كثيراً من الأعمال التي تؤدى في الاعتكاف، كقراءة القرآن، والذكر والتسبيح والاستغفار، وقيام الليل، والنوافل الأخرى والفرائض، يمكن لمن تعذر عليه الاعتكاف أن يؤديها في المنزل، والله تعالى أعلم.

2. حكم صيام من وصل الرُعاف إلى حلقه

السؤال: ما حكم صيام من وصل شيء من الرُعاف إلى حلقه؟

الجواب: إن سبق شيء إلى المعدة بغير اختيار الصائم فإنه لا يفطر، لقول الله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ (البقرة: 286)،ولقول الرسول، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِنَّ اللَّهَ قَدْ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ»[2].

قال ابن قدامة: " وإن تمضمض، أو استنشق في الطهارة، فسبق الماء إلى حلقه من غير قصد ولا إسراف، فلا شيء عليه، وبه قال الأوزاعي، وإسحاق، والشافعي في أحد قوليه"[3].

وعليه؛ فبما أنه دخل حلقك شيء من الدم النازف من الأنف دون قصد منك، فلا يفسد صومك، والله تعالى أعلم.

3. الحِجَامة في نهار رمضان

السؤال: هل الحِجَامة في رمضان تُبطل الصيام؟

الجواب: اختلف العلماء في تأثير الحِجَامة في الصيام؛ فذهب الحنفية والمالكية والشافعية إلى أنها لا تُفطر[4]؛ واستدلوا بما رواه ابن عباس، رضي الله عنهما: «أَنَّ النَّبِيَّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، احْتَجَمَ وَهُوَ مُحْرِمٌ، وَاحْتَجَمَ وَهُوَ صَائِمٌ»[5].

---

1. صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، بَابُ يُكْتَبُ لِلْمُسَافِرِ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ فِي الإِقَامَةِ
2. سنن ابن ماجة، كِتَابُ الطَّلَاقِ، بَابُ طَلَاقِ الْمُكْرَهِ وَالنَّاسِي، وصححه الألباني.
3. المغني: 3 /123.
4. النتف في الفتاوى 1: 158،شرح مختصر خليل 2: 244، نهاية المحتاج 3: 174.
5. صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب الحجامة والقيء للصائم.

وذهب الحنابلة إلى أنها تفطر[1]، واستدلوا بما روى ثَوْبَانُ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: « مَرَّ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالْبَقِيعِ فِي ثَمَانِ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ بِرَجُلٍ يَحْتَجِمُ، فَقَالَ: أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ»[2].

وذهب بعض العلماء إلى أن المراد بهذا الحديث تسبب الحاجم والمحجوم في الفطر، الحاجم من خلال مصه للدم - حسب طريقة الحجامة القديمة-، والمحجوم من خلال إضعاف نفسه بالحجامة.

ونميل إلى ترجيح رأي جمهور الفقهاء بأن الحِجَامة لا تفطر، وقد ذهب مجلس الإفتاء الأعلى في نشرة ومضات من أحكام الصيام، الصادرة للعام 1440هـ إلى أن الفصد وسحب الدم لا يفطران، والحجامة مثلهما.

وعليه؛ فالحِجَامة لا تعد من المفطرات، ولا حرج على الصائم في الحِجَامة إن غلب على ظنه أنها لا تحول بينه وبين الصيام، أما إن خِشي أن تضعفه فيكره له الاحتجام، وإن تيقن أنها تؤدي إلى فطره فلا يجوز له الاحتجام وهو صائم، قال الخرشي، رحمه الله: " وَمِمَّا يُكْرَهُ أَيْضًا الْحِجَامَةُ وَالْفِصَادَةُ فِي حَقِّ الصَّائِمِ مَخَافَةَ التَّغْرِيرِ، فَيُؤَدِّي ذَلِكَ إلَى فِطْرِهِ، وَهَذَا إذَا شَكَّ فِي السَّلَامَةِ، وَإِنْ عُلِمَتْ جَازَتْ، وَإِنْ عُلِمَ الْعَطَبُ حَرُمَتْ"[3]، والله تعالى أعلم.

4. حكم من أفطر قبل أذان المغرب ظاناً دخول وقت المغرب

السؤال: هل يجب قضاء يومٍ على من شرب قبل أذان المغرب ظاناً دخول وقت المغرب؟

الجواب: الأكل أو الشرب قبل أذان المغرب عمداً يفسد الصوم، ولو كان الآكل أو الشارب مخطئاً بالوقت، ويجب على من فعل ذلك أن يُمسك بقية يومه إن كان في رمضان، مراعاة لحرمة الشهر، وعليه أن يقضي بعد انقضاء رمضان يوماً مكانه، والله تعالى أعلم.

---

1. المغني 3: 120.
2. مسند أحمد، تتمة مسند الأنصار، ومن حديث ثوبان، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم
3. شرح مختصر خليل 2: 244.

5. حكم صيام تارك الصلاة تكاسلاً وقضاء الصلوات الفائتة

السؤال: أصوم رمضان، ولكني أترك بعض الصلوات تكاسلاً، فهل عليّ قضاء الصلاة والصيام؟

الجواب: الصلاة تعد ركناً من أركان الإسلام، ولا تسقط عن المسلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء:103]، ولا خلاف بين العلماء في وجوب قضاء الصلاة الفائتة بعذر شرعي من نسيان أو نوم، ونحو ذلك، لقول النبي، صلى الله عليه وسلم: « مَنْ نَسِيَ الصَّلَاةَ، فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ »(*).

أما الصلاة المتروكة عمداً، فحكمها كحكم المنسية، فيجب قضاؤها، وهذا هو قول الأئمة الأربعة، وذهب بعض أصحاب الشافعي إلى أن الصلاة المتروكة عمداً لا يجب قضاؤها، ولا تقبل ولا تصح؛ لأنها صليت في غير وقتها، وكان تأخيرها عنه لغير عذر شرعي، فلم تقبل، وذهب كثير من أصحاب الإمام أحمد وابن حزم وجماعة من السلف من الصحابة والتابعين، إلى أن تارك الصلاة عمداً كافر كفراً مخرجاً من الملة، وإذا عاد إلى الإسلام، فهو غير مطالب بقضاء صلاة أو صوم، لأنه بمثابة داخل جديد في الإسلام.

وبالاستناد إلى قرار مجلس الإفتاء الأعلى في فلسطين رقم 2/ 80، بتاريخ 6 /5 /2010م، فالراجح أن تارك الصلاة تهاوناً وكسلاً، وهو عالم بوجوبها وغير منكر لفرضيتها يبقى مسلماً ولا يخرج من الملة، وصيامه صحيح، وأما ما فاته من صلوات طيلة الفترة السابقة، فلا شك أنه أخطأ بتركها، غير أنه لا يلزمه قضاؤها؛ لأن التوبة تَجُب ما قبلها؛ ولأن وجوب القضاء لسنوات فائتة فيه من المشقة والحرج ما فيه، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وما جعل عليكم في الدين من حرج، وعلى السائل أن يعلم أن تقصيره بترك الصلاة خلال هذه المدة الطويلة لا يمحوه إلا الالتزام التام بالصلاة، وألا يعود إلى المعصية، وأن يندم على ترك هذا الفرض، وأن يكثر من النوافل والصدقات والاستغفار، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، والله تعالى أعلم.

* صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قَضَاءِ الصَّلاَةِ الْفَائِتَةِ وَاسْتِحْبَابِ تَعْجِيلِ قَضَائِهَا.

6. حكم قراءة القرآن على الماء بنية الشفاء من السحر أو الحسد

السؤال: ما حكم قراءة القرآن على الماء بنية الشفاء من السحر أو الحسد؟

الجواب: الرُّقى نوعان، أحدهما منهي عنه؛ وهو الذي فيه شرك أو توسل بغير الله تعالى، أو ألفاظ مجهولة لا يعرف معناها، وثانيهما مشروع، وهو الذي يكون سليمًا من ذلك، والنبي، صلى الله عليه وسلم، يقول: « لا بأس بالرُّقى ما لم تكن شركاً»[1]، ويقول صلى الله عليه وسلم: « من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه»[2]، وقد رَقى النبي، صلى الله عليه وسلم، ورُقي، فعن عائشة، رضي الله عنها: «أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه، وأمسح بيده رجاء بركتها»[3].

وبالنسبة إلى استخدام الماء وحده أو مع الملح المقروء عليهما في الشرب والاغتسال والرش، فقد أجازه جمهور العلماء، فعن علي، رضي الله عنه، أنه قال: « لَدَغَتْ النَّبِيَّ، صلى الله عليه وسلم، عَقْرَبٌ وَهُوَ يُصَلِّي، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: لَعَنَ اللَّهُ الْعَقْرَبَ مَا تَدَعُ نَبِيًّا وَلَا غَيْرَهُ إِلَّا لَدَغَتْهُمْ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ وَمِلْحٍ»[4].

وعليه؛ فلا مانع شرعاً من استخدام الماء المقروء عليه للشفاء من أمراض السحر أو الحسد، مع تجنب رشه في أماكن النجاسة، والله تعالى أعلم.

---

1. سنن أبي داود، كتاب الطب، باب ما جاء في الرقى، وصححه الألباني.
2. صحيح مسلم، كتاب السلام، باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة.
3. صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذات.
4. شعب الإيمان، كتاب في فضل السور والآيات، باب تخصيص المعوذتين بالذكر، 4/ 170، وصححه الألباني في الجامع الصحيح للسنن والمسانيد: 3 /2168.

مميـزات الرجـل وصفاتـه مـن قـول اللـه الفصـل وآياتـه

الشيخ أحمد خالد شوباش
مفتي محافظة نابلس

الحمـد للـه رب العالمـين، والصـلاة والسـلام عـلى أشرف المرسـلين، سـيدنا محمـد النـبي، الأمـين، وعـلى آلـه وصحبـه أجمعـين، وبعـد؛

فيتمـيز القـرآن الكريـم بدقـة ألفاظـه، وبلاغـة مفرداتـه وتراكيبـه، وتمايـز كلماتـه، فلـكل كلمـة موضعهـا واسـتخدامها ومدلولاتهـا، وكل هـذا نـاشئ عـن كـون القـرآن كتـاب اللـه، تنزيـل رب العالمـين، الهـدى والهـادي إلى الرشـد، وإلى مـا هـو أقـوم، وهـو البيـان والبصائـر والبرهـان.

وقـد سـمى اللـه كتابـه بالفصـل[1] فقـال: {إِنَّـهُ لَقَـوْلٌ فَصْـلٌ* وَمَـا هُـوَ بِالْهَـزْلِ }(الطارق: 13 - 14) وعلّـة تسـميته بذلـك؛ قيـل: مـن القضـاء؛ لأنـه يفصـل بـين الحـق والباطـل - كمـا قيـل لـه فرقـان[2] وقيـل: لأنـه يفصـل بـين النـاس يـوم القيامـة، فيهـدي قومـاً إلى الجنـة، ويسـوق آخريـن إلى النـار، فمـن جعلـه إمامـه في الدنيـا قـاده إلى الجنـة، ومـن جعلـه وراءه سـاقه إلى النـار[3]، وبهـذا المعـنى أخـرج ابـن حبـان عـن جابـر عـن النـبي، صـلى اللـه عليـه وسـلم، قـال: (الْقُـرْآنُ مُشَـفَّعٌ، وَمَاحِـلٌ

1. الزركـشي: أبـو عبـد اللـه بـدر الديـن محمـد بـن عبـد اللـه بـن بهـادر (المتـوفى: 794 هــ) البرهـان في علـوم القـرآن 1 / 274، المحقـق: محمـد أبـو الفضـل إبراهيـم، الطبعـة: الأولى 1376هــ - 1957 م، النـاشر: دار إحيـاء الكتـب العربيـة عيـسى البـابي الحلـبي وشركائـه، عـدد الأجـزاء: 4، والسـيوطي: عبـد الرحمـن بـن أبي بكـر جـلال الديـن (المتـوفى: 911 هــ)، الإتقـان في علـوم القـرآن 1/ 178، المحقـق: محمـد أبـو الفضـل إبراهيـم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة 1394هـ 1974م، عدد الأجزاء: 4.

2. الكلبي: أبـو القاسـم محمـد بـن أحمـد بـن جـزي الغرناطي (المتـوفى: 741هــ) التسـهيل لعلـوم التنزيـل 2 / 472، المحقـق: الدكتـور عبـد اللـه الخالـدي، النـاشر: شركـة دار الأرقـم بـن أبي الأرقـم - بـيروت، الطبعـة الأولى - 1416هــ

3 الـرازي: أبـو عبـد اللـه محمـد بـن عمـر الملقـب بفخـر الديـن الـرازي خطيـب الـري (المتـوفى: 606هــ) ، مفاتيـح الغيـب المعـروف بالتفسـير الكبـير 2 / 262، النـاشر: دار إحيـاء الـتراث العـربي - بـيروت، الطبعـة: الثالثـة - 1420هــ

مُصَدَّقٌ، مَنْ جَعَلَهُ إِمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ)[1]، ومعنى مَاحِلٌ مُصَدَّقٌ: أي خصم مجادل مصدق[2].

والمقصود بعد هذا التقديم، أن القرآن الكريم ذكر لفظ الرجل مفرداً ومجموعاً، وذكر لفظ الذكر كذلك بالإفراد والجمع، فما المواضع التي استخدمت فيها مفردة الرجل، وما المعنى المراد من ذلك؟

في لغة العرب: الرجل معروف، وهو الذكر من نوع الإنسان، خلاف المرأة، وقيل: إنما يكون رجلاً فوق الغلام، وذلك إذا احتلم وشبّ، وقيل هو رجل ساعة تلده أمه إلى ما بعد ذلك[3]، وقد سميّ رجلاً؛ لأنه يمشي على رجله.[4]

فالرجل مختص بالذكر من الناس، ويقال رَجْلَةٌ للمرأة إذا كانت متشبهة بالرجل في بعض أحوالها، ورجل بيّن الرجولة والرجولية، واشتق من الرِّجل رَجِل وراجل للماشي بالرجل[5] والذكر: ضد الأنثى وجمعه ذكور وذكران.[6]

وقد ورد لفظ الذكر مفرداً بالقرآن اثنتي عشرة مرة، منها المعرف "بال" ومنها المنكر، وبالجمع بلفظ الذكور مرتين، تارة بالتعريف، وأخرى بالتنكير، وكذلك بلفظ الذكران مرتين.[7]

---

1 ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد التميمي أبو حاتم الدارمي البستي (المتوفى: 354هـ) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبّان، كتاب العلم، باب الزجر عن كتابة المرء السنة مخافة أن يتكل عليها، 1/ 332، وفي ذيل الصفحة تعليق الألباني: صحيح - الصحيحة 2019، وتعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده جيد، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية 1414هـ - 1993م، عدد الأجزاء: 18.

2. الجزري: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة محل 4 / 303، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت 1399هـ 1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: 5.

3. ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري (المتوفى: 711هـ) لسان العرب، مادة رجل، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414هـ، عدد الأجزاء: 15.

4. ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، كتاب الراء، باب الراء والجيم وما يثلثهما، مادة رجل، 2 / 492، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر 1399هـ - 1979م، عدد الأجزاء:6.

5. الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ) المفردات في غريب القرآن، مادة رجل ص 180، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق - بيروت، الطبعة الأولى - 1412هـ

6. الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة ذكر، ص 168.

7. عبد الباقي: محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص 275، الناشر: مؤسسة مناهل القرآن - بيروت، توزيع مكتبة الغزالي - دمشق، الطبعة والسنة: بلا.

وورد لفظ الرجل بين الإفراد والتثنية والجمع، معرفاً ومنكراً ثماني وخمسين مرة.[1]

ولعل هذه المقالة جاءت لتثبت أن كل رجل ذكر، وليس كل ذكر رجلاً، فالذكور كثير، لكن ليس كلهم رجالاً، يقول أبو العتاهية:

" كم من رجال في العيون وما هم بالعقل إن كشفتهم برجال" .[2]

الأنبياء رجال:

أشارت عدد من الآيات القرآنية، إلى أن الله كلّف بالنبوة والرسالة رجالاً، أرسلهم إلى أقوامهم، فقال تعالى: {أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }(الأعراف: 63) وقال: {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ} (يونس: 2)، وقد أقرت الأقوام واعترفت برجولة الأنبياء، إلا أنهم رموهم بالتهم الباطلة من أجل عدم مبايعتهم أو الإيمان بهم، فقال بعضهم: { إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ} (المؤمنون: 25)، وقال آخرون: {إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ} (المؤمنون: 38)، وقالوا: {قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ}(سبأ: 43)، و {إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا} (الإسراء: 47).

ولقد حصرت آيات قرآنية عدة النبوة والرسالة بالرجال، فلم يرسل الله نبياً من الإناث ولا النساء ولا من عموم الذكور، قال تعالى:{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى}(يوسف: 109) [3]

قال الكلبي: " {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا} ردّ على من أنكر أن يكون النبي من البشر، وقيل: فيه إشارة إلى أنه لم يبعث رسولاً من النساء".[4]

1. عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص 303.
2. أبو العتاهية، ديوان أبو العتاهية، ص 172، شرحه وعلق حواشيه محمد معروف الساعدي، ط دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
3. وفي سورة النحل، الآية: 43 {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}، وفي سورة الأنبياء، الآية: 7 {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}.
4. ابن جزي الكلبي الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، ص 397.

يقول الحوالي: " الرجولة في القرآن وصف آخر فيه زيادة على مجرد الذكورة، فالله تبارك وتعالى بدأ بأنبيائه في هذا المنصب، فقال: {مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ } (الأنبياء: 107) والله تبارك وتعالى أرسل رجالاً مواقفهم الرجولية واضحة لمواجهة الفساد والشرك، والطغيان والانحراف والجور والظلم، وكل ما من شأنه أن يخدش أمراً أنزله الله، ولذلك كانت تلك المواقف البطولية التي لا يقفها إلا أعظم الرجال وأشجعهم: مثل وقوف إبراهيم الخليل أمام النمرود، ووقوف موسى أمام فرعون، ووقوف نوح، عليه السلام، أمام أمة عاتية ماكرة ألف سنة إلا خمسين عاماً .... وإن أعظم هؤلاء الرجال هو خيرة الله ومصطفاه من خلقه محمد، صلى الله عليه وسلم ".[1]

مميزات الرجال وصفاتهم في القرآن:

* الدعوة إلى الله، واتباع طريق الرسل، قال تعالى: { وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ} (يس: 20) فقوله: { رَجُلٌ } في تنكير الرجل مع أنه كان معروفاً معلوماً عند الله فائدتان، الأولى: أن يكون رجلاً تعظيماً لشأنه، أي رجلاً كاملاً في الرجولية.

الثانية: أن يكون مفيداً لظهور الحق من جانب المرسلين، وفي هذا تبصرة للمؤمنين وهداية لهم ليكونوا في النصح باذلين جهدهم".[2]

* تحذير الأنبياء وأتباعهم من مكر الأعداء، والدفاع عن كلمة الحق، قال تعالى:{وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَامُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ}(القصص: 20)، وقال تعالى: {وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ

1. الحوالي: سفر، الرجولة ص 1 - 2، كتاب منشور على المكتبة الشاملة، الطبعة والسنة: بلا.

2 الفخر الرازي، التفسير الكبير، 26 / 263.

بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ }(غافر: 28)، وقال تعالى: { قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ } (المائدة: 23)

* ذكر الله وعمارة المساجد، وعدم الانشغال بالدنيا عن الآخرة، قال تعالى: { فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ* رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ* لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } (النور: 36 - 38).

* الحرص على الطهارة في الظاهر والباطن، قال تعالى:{ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ} (التوبة: 108).

وفي تفسير الطهارة قولان: الأول: المراد منه التطهر عن الذنوب والمعاصي، والقول الثاني: أن المراد منه الطهارة بالماء بعد الحجر، وهو قول أكثر المفسرين، وفي قول ثالث: إنه محمول على الأمرين.[1]

* الوفاء بالعهد والصدق، قال تعالى: { مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا}(الأحزاب: 33).

وفي الآية إشارة إلى وفائهم بعهودهم التي عاهدوا الله عليها، أنهم لا يفارقون نبيهم إلا بالموت، فمنهم من قضى نحبه، أي قاتل حتى قتل فوفى بنذره، والنحب: النذر، ومنهم من ينتظر الشهادة وفاء بالعهد، وما زال في القتال.[2]

* القيام بشؤون الأسرة وإمارة البيوت، قال تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ }(النساء: 34)، وقال تعالى:{ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ }(البقرة: 228).

1. الفخر الرازي، التفسير الكبير 16/ 148.

2 الفخر الرازي، التفسير الكبير، 25 / 161.

رجال معذورون:

يقول تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا* إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا* فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا }(النساء: 97 - 99).

الآية تدلل على عقاب من قعد في دار الكفر، وسكن فيها مع عجزه عن طاعة الله، ولم يهاجر من مكة إلى المدينة، ثم يعم الحكم كل حالة مشابهة، واستثنت المستضعفين، وذكرت الرجال، مع أن الرجال في العادة ليسوا من المستضعفين، وجوابه أن المستضعف قد يكون قادراً على ذلك مع ضرب من المشقة، فربما ظن الإنسان بنفسه أنه عاجز عن المهاجرة ولا يكون كذلك، خاصة أن الهجرة عن الوطن شاقة على النفس[1]، أو أن الرجال لم يستطيعوا الهجرة لقوة الأعداء، فصاروا من المستضعفين.

رجال في موضع الذم:

ذكر القرآن في معرض الإنكار على العرب قبل الإسلام رجال الإنس الذين كانوا يستعيذون بالجن، فقال: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} (الجن: 6).

والمقصود بالرجال هنا ذوو القوة والبأس ممن كان يلجأ ويعتصم بهم، خوفاً على أنفسهم ومن معهم، إذا نزلوا وادياً برجال من الجن من القبيل المستتر عن الأبصار، فكان الرجل يقول: إني أعوذ بعظيم هذا الوادي من شر سفهاء قومه أو نحو هذا.[2]

فالمقصود بالرجال هنا ذوو القوة والبأس، مع فراغ عقولهم من الإيمان وحسن العقيدة.

1. الفخر الرازي، التفسير الكبير 11 / 197.

2. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885 هـ) نظم الدرر في تناسب الآي والسور ج20 ص 472، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة: بلا، عدد الأجزاء: 22.

وفي قصة لوط، عليه السلام، مع قومه، واعتراضه على فعلتهم الشنيعة، قال لهم: {إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ }(الأعراف: 81)، وقال لهم: { أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ }(النمل: 55)، ثم قال لهم:{أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ }(العنكبوت: 29)، وفي موضع آخر: {أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ }(الشعراء: 165).

فهذه الاستفهامات من لوط، عليه الصلاة والسلام، لقومه على جهة التوقيف والتوبيخ والتبشيع والتقريع[1]، فكأنها اعتراض وإنكار على من ظنوا بأنفسهم أنهم رجال.

وقد صرح لهم بذلك، فقال لهم: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ }(هود: 78)، أو أنه قصد بالرجال كبار السن البالغين، خاصة من الغرباء.

يقول طنطاوي: " وفي إيراد لفظ الرجال دون الغلمان والمردان ونحوهما مبالغة في التوبيخ والتقريع"[2]، أو زيادة في التقبيح، وبيان اختصاصه ببني آدم.[3]

وبهذا يتبين أن لفظ الرجال ورد في اللغة والقرآن في مقام المدح، وأن الرجال جزء من الذكور يتميزون عليهم بصفات ومميزات، وحيث ورد ما يذمهم انتقاص الرجل، فإنما ورد لمعنى، أو لعلة مقصودة، أو لبيان معنى مراد.

1. ابن عطية: أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 2 / 424، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى 1422هـ، والأندلسي: أبو حيّان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ) البحر المحيط في التفسير،8 / 183، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: 1420هـ

2. طنطاوي: محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، 5 / 315، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة: الأولى، السنة 1997م، وانظر: الألوسي: شهاب الدين محمد بن عبد الله الحسيني (المتوفى: 1207هـ) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، 4/ 408، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى 1415هـ، عدد الأجزاء: 16.

3. الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، 10 / 209.

ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب

أ. كمال بواطنة
مدير دائرة الكتب التربوية سابقاً

قال العارف بالله، مالك بن دينار، رحمه الله:" مساكين أهل الدّنيا، خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها. قيل له: وما أطيبُ ما فيها؟ قال: معرفة الله".(*)

حياتنا بشهادة ربّنا، سبحانه، حياة كبد ومشقّة {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ} (البلد:4)، والسّعادة فيها ناقصة، وقلّ أن تصفو لأحد، ولو جلست إلى إنسان، تحسبه سعيداً، وفتح لك قلبه، لوجدت في قلبه هموماً كثيرة. وترى ما المخرج من هذه الهموم؟ المخرج هو معرفة الله، ومحبّته، والأنس به، والإكثار من ذكره.

جل عباداتنا ذِكر:

لو فكّر أحدنا في عباداتنا لوجد جلّها ذكراً، فالصّلاة، وهي عمود الدّين زاخرة بالذّكر، وحتّى عندما يخرج من صلاته، فعليه أنْ يكثر من الذّكر {فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ} (النّساء:103)، وفي سورة الجمعة يرشد الله سبحانه المؤمنين بعد أداء صلاة الجمعة إلى أنّ يكثروا من الذّكر؛ لأنّ في ذلك سبيلَ الفلاح { فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (الجمعة :10)، والحجّ زاخر بالذّكر في شعائره ومناسكه كلها، وحتّى عندما تنتهي المناسك، فإنّ الحاجّ مأمور بألّا

* رسائل ابن رجب الحنبلي 2/ 802

يغفل عن الذّكر: {فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا} (البقرة:200)، والصّيام يبدأ الصائم يومه فيه بالذّكر، وينهيه بالذّكر، والمسلم مأمور بالذّكر: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} (الأحزاب:41 - 42)، وما ذاك إلّا لما يترتّب على الذّكر والتّسبيح من ثمار، تعود على المسلم بالنّفع في دنياه وفي آخرته، وهذا ما ورد في الآيتين التاليتين للآيتين السابقتين. يقول سبحانه: {هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا * تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا} (الأحزاب:43 - 44)، فالّذي يذكر الله،ويسبّحه ينال رحمته، وينال دعوات الملائكة له بالرّحمة، ويخرج من ظلمات الكفر والمعصية إلى نور الهداية والطّاعة، ويحظى بلقاء ربّه، وبالأجر الكريم...

طمأنينة القلب بالذكر :

وما أطيب الحياة عندما يرطّبها الذّكر، ونحن بالذّكر نجني ثماراً لا حصر فيها، ويحسن بنا أن نتوقّف مع بعضها. ومن أهمّ هذه الثمار طمأنينة القلب، وسكينة النّفس {أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}(الرّعد:28)، فذاكر الله ليس في حاجة إلى أطباء نفسيّين، وليس في حاجة إلى مهدّئات أعصاب، فهو في كنف ربّه، يضيء له قلبه، وينير له طريقه، فيشعر أنّه في معيّة ربّه، في صحوه ورقدته، في عمله وراحته، في صحّته وسقمه، ويحسّ الرّضا يملأ قلبه في حالي النّعمة والنّقمة...، وهو لا يبطر بنعمة، ولا يقنط بنقمة، وهو لا يفزع حين يفزع النّاس، ولا يخاف لقاء ربّه، بل يوقن أنّ موته يقرّب الحبيب من حبيبه، وأنّه يخرجه من ضيق الدّنيا إلى سعة الآخرة.

في عالم طغيان المادّة قلّ ذكر الله عند كثير من الناس، ووجدنا الله يبتلي النّاس بالدّنيا، فتنافسوا فيها، وغدوا فيها كوحوش البراري حين تتقاتل على جيفة، وهو سبحانه بذلك سلبهم طمأنينة القلب، وكثرت بينهم العداوات، وزادت عندهم العُقَدُ النفسيّة، وهربوا إلى المحرّمات من مخدّرات ونحوها، ونسوا أنّ ظمأ النّفس لا يبلّه إلّا الإقبال على الله، والفرار منه إليه.

فوائد الذكر:

من فوائد الذّكر الجليلة أنّ من يذكر الله يذكره الله في الملأ الأعلى {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} (البقرة:152)، فيا هناه من ذكر الله، فغدا مذكوراً عند الله! وفي الحديث القدسيّ (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ)[1]، ومن البشائر للذّاكرين ما ورد في الحديث: (إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا) [2]

ومن ثمار الذّكر النّصرة على الأعداء، ولنا أن نقرأ قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (الأنفال:45)، وعند التحام الصّفوف في المعركة، ويتعذّر إقامة صلاة الخوف تتحوّل الصَّلاة إلى ذكر، والذّكر من أكبر العدّة على الأعداء، وفرق بين موصول الحبل مع الله بالذّكر ومقطوع الحبل.

ونحن في ذكرنا لله نحصّل أعظم الثواب، ولنا أن نتلو قول ربّنا: {وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } (الأحزاب:35)، ففي الذّكر مغفرة للذّنوب، وفيه الأجر العظيم.

كذلك فنحن بذكر الله نسلم من وساوس الشّيطان، والشّيطان يخنس إذا ذكر العبد ربّه، ولكنّه يبرز بوساوسه بمجرَّد أن يغفل المرء عن ذكر ربّه، دلّ على ذلك قوله تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ } (الأعراف:175)، فالشّيطان يتحيّن الفرص، إنْ رأى غفلة هجم، فإذا رأى العبد ذاهلاً عن ذكر ربّه ملأ وقته بما يجرّ عليه الأوزار من غيبة، ونميمة، ولغو، وهذر، وكلام فحش...، والخطورة في ذلك أنّ المرء إذا اعتاد على

1. صحيح البخاريّ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى: {ويحذركم الله نفسه} [آل عمران: 28].
2. صحيح البخاريّ، كتاب الدّعوات، باب فضل ذكر الله عزّ وجل.

فحش القول جرى على لسانه، ولكنّه إذا تعوّد على ذكر الله جرى الذّكر على لسانه في كلّ أوقاته.

ومن فوائد الذكر أنّ الذاكر يحسّ مراقبة الله له، فيستحيي أن يراه الله حيث نهاه، ويجتهد لأن يصل إلى مقام الإحسان؛ فيعبد الله كأنّه يراه، وبهذا يحسّن سلوكه.

من فضل الله علينا أن علّمنا أذكاراً، بعضها جاء في القرآن، وبعضها ورد في سنّة النّبيّ العدنان، صلّى الله عليه وسلّم، والمسلم الذي يحرص عليها، ويعتاد على تَردادها يجني الخير الكثير، ومنها أدعية كثيرة، والدّعاء ذكر، وعبادة، دلّ على ذلك قول الله عزّ وجلّ: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ }(غافر:60)، وحقيقة الأمر أنّ المرء يغبط أولئك الذين هداهم الله فأكثروا من ذكره، وذكرهم لله هي علامة خير؛ فمن أحبّ أحداً أكثر من ذكره. ومن جميل ما سمعت أنّ إحداهنّ، وكان يُشْهَدُ لها بالصّلاح، كانت دائبة الذِّكر لربّها، وشاء الله أن ابتليت في أرذل العمر بفقدان الذّاكرة(الزّهايمر)، فظلّ ذكر الله يجري على لسانها حتّى فارقت الحياة، ولم يخرج من فمها كلمة سوء واحدة، ومن النّاس من يصاب بهذا المرض فلا يخرج من لسانه إلّا فحش القول؛ ذلك أنّ لسانه كان متعوّداً على ذلك، فليعوّد أحدنا لسانه على حسن القول، ومن أحسن القول ذكر الله.

خاتمة:

ما أحوجنا، معاشر المؤمنين، إلى أن نكثر من ذكر الله، وأن يستقرّ في قلوبنا معاني تعظيم الله! ونحن في هذه البلاد المقدّسة المحتلّة بحاجة إلى معونة ربّنا وحفظه، ونحن نتعرّض إلى القتل والتّرويع، وقلّ أن يمرّ يوم على الشّعب الفلسطينيّ من غير قتل وتخويف، واعتداء على المقدّسات والممتلكات، وموكب الشُّهداء طويل، وفي كلّ يوم يزداد عددهم، ويحزن المسلم حين يسمع نفراً من أبناء شعبنا يسبّون الذّات الإلهيّة، ويسبّون الدّين، وكان حريّاً بهم أن يقدّروا الله حقّ قدره، وأن يعزّروه، ويوقّروه، ويسبّحوه بُكرة وأصيلاً، وهيهات أن ينصر الله مَنْ تجرّأ على أمر عظيم، يخرج صاحبه من الملّة، ويخرجه من عداد المسلمين!

مساجد إسطنبول ومعالمها والإنجازات الحديثة شاهدة على عراقتها واصالتها وتطورها

أ. يوسف عدوي
باحث وكاتب ومحاضر جامعي

المقدمة

تحدثت في مقال سابق عن مدينة إسطنبول من حيث موقع المدينة الجغرافي، ومساحتها، وتاريخها، وأهميتها، وقصة الفتح سنة 1453م، وأسباب النصر، وتحقق الفتح التركي الإسلامي للمدينة، وإسطنبول مدينة السحر في أشعار العرب. وفي هذا المقال سأبرز جوانب أخرى متعلقة بهذه المدينة الساحرة التي تستعمر شغاف القلوب، والتي لا يمل البصر من الكف عن رؤيتها؛ لجمالها الرباني، فتحتل جزءاً كبيراً في الذاكرة، وسأركز في هذا المقال على مساجد المدينة، والأماكن التاريخية، والأثرية، والإنجازات الحديثة في المدينة، آملا من التمكن لاحقاً من تقديم قراءة في رواية الكاتب التركي أورهان باموق، الحائز على جائزة نوبل للآداب سنة 2006م، إسطنبول الذكريات والمدينة).

إسطنبول

اسطنبول مدينة عريقة مغرقة في القدم، تعتبر سابع مدينة في العالم من حيث عدد السكان (20) مليون نسمة، وتغطي مساحة المدينة (39) مقاطعة، أهمها: مقاطعة بك أوغل، وبشككطاش، وأسكودار، وخلقيدونية.تروي مساجدها الشامخة، ومعالمها، وكنائسها، وأحياؤها سيرتها التي ظلت حاضرة ومزدهرة، وماثلة على فترات متعاقبة لحضارات مختلفة؛ بفضل موقعها، وميناؤها، وحضورها الدولي، حيث شهدت أخيراً ازدهاراً عمرانياً متميزاً، من

بناء مصانع ضخمة ومتنوعة، ومؤسسات، ومستشفيات، ومطارات كبيرة جداً، والمساجد التي تحفظ مكانتها التاريخية، وتشهد عراقتها، ومركزيتها، وتصون هويتها الإسلامية، والحضارية. وسر التعلق بهذه المدينة، يعرفه من يسكنها الذي يعلم ما بداخلها، ويعلم أسرارها، ففيها يمتزج عبق التاريخ، وتطور الحضارة، وتكنولوجيا العصر، لهذا فترتيب إسطنبول الثامن في العالم من حيث زيارة السياح لها عام 2018م، فزارها أكثر من (13) مليون سائح دولي من خارج تركيا، وسنة 2019م حطمت تركيا الأرقام القياسية في عدد الزائرين والسياح، حيث زار الدولة في سنة 2019م (52) مليون سائح، كما صرحت وزارة الثقافة والسياحة التركية، وكانت إسطنبول المدينة الأكثر زيارة، فوصل عدد زائريها (15) مليون سائح.

فحاضرة إسطنبول تمثل أهم تشابك بين تركيا وأوروبا، وحتى العالم، إذ اضطلعت بوظيفة الواجهة الحدودية، والتشابك العصبي، وهي الوظيفة التي تدعمت عبر الزمن الطويل باستقبالها سكاناً من أصول مختلفة؛ مما أضفى عليها طابع التنوع، وأدت دور فضاء العبور؛ لوقوعها في منطقة المضائق، فجسدت التعدد الإثني[1]. وقال فيها نابليون: " لو كانت الدنيا مملكة واحدة، لكانت إسطنبول أصلح المدن لتكون عاصمة لها "[2] ولأهميتها الكبيرة جداً كانت روسيا ودول أوروبا تسعى جاهدة لأن تسيطر عليها، كما قال نابليون في مذكراته التي كتبها في منفاه بجزيرة (سانت هيلانا): أنه حاول عدة مرات الاتفاق مع روسيا على اقتسام الامبراطورية العثمانية، وكانت العقبة إسطنبول، فقد كانت روسيا تلحّ في امتلاكها، ونابليون يصر على عدم تسليمها، فكانت المدينة وحدها في نظره تساوي امبراطورية كاملة.[3]

كان عدد سكان القسطنطينية قبل أن يفتحها محمد الثاني في العام 1453م يتراوح بين (40000) و(60000) نسمة، وفي العام 1478م بلغ عدد السكان (80000) نسمة، حيث بعد الفتح قام السلطان محمد الثاني بتسميتها إسلامبول، وتعني بالتركية (دار السلام)، حيث لم تمض

1. من آسيا الصغرى إلي تركيا، ميشيل برونو، ترجمة معاوية سعيدوني، ص308.
2. محمد الفاتح، د. سالم الرشيدي، ص54 .
3. بين العقيدة والقيادة، محمود شيت خطاب، ص356.

أيام قليلة على فتحها حتى سادها الأمن والاستقرار، وأمّها الناس من كل حدب وصوب، ولا سيّما أهل الاختصاص، والعلم، وأصبحت ملجأ لآلاف المظلومين والمضطهدين بدون تمييز، ولا تفريق، وأمّها كثير من عرب إسبانيا ويهودها الذين أصابتهم الكنيسة هناك بوابل من القتل والعذاب، ففروا إلى الحضن الدافئ والحصن المنيع، واستطاع محمد الفاتح أن يجعل من إسلامبول بالإضافة إلى كونها جنّة الدنيا، وأجمل عواصم العالم قاطبة، أن يجعلها مركزاً للسياسة العالمية، ومحوراً لها، الأمر الذي حمل دول الشرق والغرب على الاعتراف بعظمتها، وقوتها، وسلطانها [*].

ومنذ عهد السلطان سليمان الأول، حتى بداية القرن السابع عشر، شيدت في إسطنبول التي كانت تضم (500) مسجد، أجمل المباني الدينية التي يعود الفضل في تصميم معظمها إلى المهندس سنان (1489 - 1588م) وأصبحت العاصمة العثمانية القلب السياسي والاقتصادي والديني للعالم الإسلامي، ونحو العام 1500م بلغ عدد السكان (500) ألف نسمة. وكان من نتائج الحرب العالمية الأولى، وانهيار الامبراطورية العثمانية، توقف نمو حاضرة إسطنبول مؤقتاً، خاصة بعد نقل العاصمة التركية إلى أنقرة، وإن كانت إسطنبول جُرّدت من كل وظائف إدارة دولة موحدة ومركزية، فقد حافظت على دورها الريادي في الاقتصاد والفكر، وباعتبار إسطنبول العاصمة القديمة لإمبراطوريات متعددة القوميات والديانات والثقافات، ورثت تراثاً معمارياً وأثرياً غنياً جداً بمكوناته الرومانية، والبيزنطية، والعثمانية، وكانت من سنة 1517م إلى سنة 1924م مقراً للخلافة الإسلامية، ولا تزال حتى اليوم مقر البطريركية المسكونية اليونانية الأرثوذكسية.

نلاحظ هذه الفترة أن إسطنبول تسترجع طابعها المتنوّع، وكانت قد ارتدت ثوب الأيديولوجية العثمانية الجديدة، والبرجوازية المعتدلة التي تخشى الآخر، وتتردد في قبول أساليب العيش الأجنبية. فيقول الكاتب ميشيل برونو " الإسطنبوليون تختلط لديهم روح

*محمد الفاتح، سلطان البرين والبحرين، غسان هرماس، ص-173 ص174.

العصبية المحلية، وظواهر أكثر عالمية، مثل: العنصرية، وكره الأجانب، فهم ينفرون من اليهود، والمسيحيين، والأرمن، واليونانيين، والعمال المهاجرين الأفارقة، والسياح العرب".[1]

ما يميز إسطنبول أنها أهم قطب اقتصادي في تركيا، وأول ميناء تجاري في البلاد، وأول مركز تجاري بأسواقها الضخمة، ومراكزها التجارية الكبيرة، كما أنشئت فيها أول بورصة مالية في الشرق الأوسط في العام 1985م، وتبوأت مكانة العاصمة الجامعية بامتياز، ففيها (22) جامعة و(3) مدارس عسكرية، وكانت عاصمة الثقافة الأوروبية للعام 2010م، وكان مخططاً أن تقام فيها الألعاب الأولمبية الصيفية لعام 2020م.[2]

أهم الأماكن الدينية والتاريخية والأثرية في إسطنبول:

تمتلئ إسطنبول بالأماكن السياحية، والمعالم التي تجذب السياح وتستهويهم، فلا تخلو أي زاوية من زوايا المدينة من معلم مهم يستحق الزيارة والإعجاب، والوقوف عنده، ومن أهم هذه المعالم، والتي قمت بزيارتها مستمتعاً، ومندهشاً بجمالها، ومعانيها، ومضامينها:

- **جامع السلطان أحمد**، ويطلق عليه أيضاً المسجد الأزرق، حيث بني سنة 1609م، ومشهور بقبابه المتدرجة، ومآذنه الستة التي يمكن مشاهدتها من مسافات بعيدة جداً، ويتميز بتصميمه الداخلي المرصع بالأزهار المصنوعة من البلاط الأبيض والأزرق على الطراز العثماني.

- **آيا صوفيا**، وهي كنيسة كتدرائية بنيت في القرن السادس الميلادي، وفي عهد السلطان محمد الثاني (الفاتح) أي في القرن الخامس عشر تحولت إلى مسجد، ثم تحولت إلى متحف ديني عام 1935م.

- **برج غلطة**، هو واحد من أجمل الأبراج، وأقدمها في إسطنبول، تعود فترة بنائه إلى العصور الوسطى سنة 1348م، ويوجد بمنطقة غلاطة، ويبلغ ارتفاعه (67) متراً. يوجد بالدور العلوي منه مقهى ومطعم، مما يعطي جمال المنظر المطل على إسطنبول، ومضيق البوسفور

1. من آسيا الصغرى إلى تركيا، مرجع سابق، ص327 .
2. http://www.ferdoselhayat.com/article/444/page4aid=444، أمكن الرجوع إليه في 15/ 1 /2020م .

(مضيق يصل بين البحر الأسود وبحر مرمرة، ويعتبر مع مضيق الدردنيل الحدود الجنوبية بين قارة آسيا وأوروبا، ويبلغ طوله (30 كم) يعطيها روعة، وتميزاً.

- **منطقة بشيكطاش**، حيث سكنها الستة سلاطين الأخيرين في حكم الامبراطورية العثمانية، وتعد أول منطقة سكنية في البوسفور، حيث توجد فيها الفنادق الفاخرة، والمتاحف، والكنائس، والأسواق، والمتنزهات، وبرج الساعة، ومرفأ البواخر، وقصر إخلامور سيزاغان، وقصر ضولمةباخجة، والجسر المعلق الذي يربط بين آسيا وأوروبا، ومسجد أورتاكوي، وكلها غاية في الروعة والجمال، وفيها عبق التاريخ، وروح الحضارة والأصالة والعراقة.

- **قصر ضولمة باخجة**، وهو القصر الثاني الذي تم بناؤه في عهد الدولة العثمانية، ويحتوي في الداخل على ثريا تعتبر الأكبر والأضخم في العالم، كانت قد أهديت للسلطان من الملكة فكتوريا.

- **متحف الفن الإسلامي**، ويحتوي على ما يقارب (40000) تحفة، تعود إلى العصر العثماني، والسلجوقي، والمملوكي.

- **تلة العرايس**، وهي عبارة عن حديقة جميلة جداً، تقع على جبل مرتفع، يطل على المدينة، وتقع هذه التلة في القسم الآسيوي من المدينة، وكانت عادة أهل إسطنبول ذهاب العروس يوم عرسها إليها؛ لالتقاط الصور هناك، والمكوث فيها جزءاً من وقت نهار عرسها، والتلة تتمتع بإطلالة مميزة جداً، فترى مساجد إسطنبول ومآذنها، وأحياءها، فهي أعلى التلال السبعة المحيطة بالمدينة إحاطة السوار بالمعصم، فتبدو من هذه الإطلالة مدينة إسطنبول لوحة فنية رائعة، تشمل طرفيها الآسيوي والأوروبي، وفيها تستمتع بمنظر رائع لا يضاهى، وهو منظر غروب الشمس من أعلى التلة.

- **قصر طوب قابي**، وهو أكبر قصور المدينة، ومركز إقامة سلاطين الدولة العثمانية لأربعة قرون (1465 - 1856م) يحوي بعض الآثار الإسلامية، مثل بردة الرسول، صلى الله

عليه وسلم، وسيفه، وصنفته منظمة اليونسكو كموقع للتراث العالمي، ووصف على أنه من أفضل الأمثلة على التنوع الثقافي في الدولة العثمانية، وحولته الحكومة التركية في 3 /4 /1924م إلى متحف يؤمّه الزوار من كافة أصقاع الأرض.

- **برج البنات**، وهو من أشهر معالم السياحة في إسطنبول، موجود في البحر، ويعتبر إرثا تاريخياً متميزاً في المدينة، وهو مليء بالآثار، والمعالم التاريخية القديمة.

- متحف الألعاب، ويقع في القسم الآسيوي، ويحتوي على أكثر من (10000) لعبة، تم جمعها من كافة أنحاء العالم، وتمثل فترات تاريخية مختلفة.

- **أرض الديناصورات**، تقع في القسم الأوروبي، وتضم (70) نموذجا بالحجم الطبيعي للديناصورات إلى جانب متحف مثير، وأكبر مسرح سداسي الأبعاد.

- **معرض الشوكولاتة**، يقع في القسم الأوروبي، ويتميز بمجسمات وهياكل لإسطنبول، ومعالمها السياحية، مصنوعة بشكل كامل من الشوكولاتة، ويتألف من (4) صالات عرض، وهو تجربة رائعة وفريدة في العالم.

- ومن المتاحف أيضاً، **متحف الطيران، ومتحف الشمع**. ومن الحدائق الجميلة الرائعة، حديقة ميناتورك. ولا يفوتنا أن نذكر أنه يوجد في المدينة أقدم (مترو) في العالم بعد لندن ونيويورك، حيث أقيم في عام 1875م، بطول (573) متراً، ويقع في حي بيوغلو الشهير.

- جسر البوسفور، وهو أحد الجسرين اللذين يصلان أوروبا بآسيا، ويعتبر المركز الرابع بين أطول الجسور المعلقة في العالم عند اكتماله سنة 1973م، ويبلغ طوله (1510) مترا، بعرض (39) متراً.

مساجد إسطنبول:

يبلغ عدد المساجد في المدينة حسب البيانات الصادرة عن مديرية الشؤون الدينية التركية (3269) مسجداً، لذا تعتبر إسطنبول المدينة الأولى في تركيا في عدد المساجد، تليها مدينة قونيا (3046) مسجداً، ثم العاصمة أنقرة (2817) مسجداً، ثم مدينة سمسون الواقعة على البحر

الأسود (2621) مسجداً. وآخر إحصائية لعدد المساجد في عموم تركيا هي (82693)مسجداً.(*)

ومن أهم المساجد في إسطنبول حيث قمت بزيارة العديد منها، والتي توحي كلها بالعراقة، والذوق الرفيع، ودقة الفن التركي الإسلامي وجماله:

- **مسجد أيوب سلطان** - نسبة إلى الصحابي أبي أيوب الأنصاري - وهو مسجد عثماني قديم جداً موجود في منطقة أيوب في الجانب الأوروبي، من إسطنبول بالقرب من القرن الذهبي، ويقع خارج أسوار القسطنطينية، بني بعد الفتح بخمس سنوات، أي سنة 1458م، وهو أول مسجد بناه المسلمون بعد فتح القسطنطينية عام 1453م.

- **جامع سنان باشا**، وهو مسجد عثماني يقع في منطقة بشيكطاش المكتظة بالسكان في إسطنبول، بناه المهندس المعماري العثماني الشهير سنان آغا، المعروف بمعمار سنان، بأمر من أمير البحر العثماني، القبطان سنان باشا، قائد البحرية العثمانية، الذي توفي في 1221/ 1553م.

- **مسجد السلطان محمد الفاتح**، بني هذا المسجد سنة 1479م،وفيه ضريح السلطان الفاتح، ويوجد في منطقة الفاتح، ويعد مثالاً عظيماً على فن العمارة الإسلامية التركية، ويمثل مرحلة مهمة من تطور فن العمارة القديمة، وسمي على اسم فاتح القسطنطينية، وشاهدت في المسجد بخط جميل أسماء العشرة المبشرين بالجنة، والقبة الداخلية مصممة بشكل جميل جداً، وكل ما في المسجد يدل على الدقة، والاهتمام الكبير؛ من خزف، وحديد، ورسومات، ونقش، وغيرها..

- **جامع العرب**، يقع شمال إسطنبول، بالقرب من برج غلاطة، وهو المسجد الوحيد بتركيا الذي بني بالطريقة الأندلسية، ومنارته المربعة تشبه منارات الأندلس، والمغرب العربي، ويوجد خارج المسجد من الجهة الجنوبية الشرقية قبر القائد العسكري الأموي مسلمة بن عبد الملك.

* http://www.palweather.ps/ar/node/6364.htm، أمكن الرجوع إليه في 17 /1 /2020م .

- **جامع زال محمود باشا**، وهو مسجد عثماني قديم في منطقة أيوب، بالقرب من مسجد السلطان أيوب، والمسجد من تصميم المهندس سنان، ويتميز بطرازه العثماني التقليدي المتميز.

- **جامع يلدز**، أنشأه السلطان عبد الحميد الثاني عام 1885م، ويقع في شارع بربروس في بشيكطاش، وهو من أجمل المساجد التي شاهدتها في إسطنبول.

- **جامع مهرماه السلطان**، يقع في حي أدرنة باسطنبول، بنته مهرماه سلطان ابنة السلطان سليمان القانوني، وصممه وبناه المهندس سنان، وهو مسجد جميل، ويتميز بدقة التصميم، والفن المعماري الرائع.

- ومن المساجد الأخرى الجميلة

ذات الفن المعماري العثماني الرائع: **مسجد كيليتش علي باشا**، ويقع بحي طوبهانة بمديرية باي أوغلو بإسطنبول، **ومسجد شاهزاده**، ويوجد على قمة هضبة في منطقة الفاتح، ويقابله مبنى بلدية إسطنبول، **ومسجد أورطة كوي**، ويطلق عليه أيضاً المسجد المجيدي، ويقع على شاطئ مضيق البوسفور، **ومسجد أيازما، ومسجد دومة باغجة، ومسجد رستم باشا** الواقع في منطقة مرمرة، الميناء الرئيس في إسطنبول، وصممه المهندس سنان، **ومسجد زيرك كليه، ومسجد فيروز آغا**، وغيرها من المساجد الرائعة والجميلة.

من الإنجازات الحديثة المتميزة في إسطنبول

شهدت تركيا بشكل عام ومدينة إسطنبول بشكل خاص مؤخراً حركة عمرانية، وعلمية، وحضارية كبيرة جداً، ولعل أبرز هذه التطورات والمحطات، والإنجازات:

- بناء مسجد تشاملیجا أي حقل السرو، لكثرة أشجار السرو والصنوبر في منطقة المسجد، وهو أكبر مسجد في تركيا يقع في القسم الآسيوي من إسطنبول، تم افتتاحه يوم الجمعة 23 /5/ 2019م، وهو تحفة إسطنبول، يقع على أعلى قمة في المدينة بمنطقة إسكودار، وأقيم على

مساحة (15) ألف متر مربع، ويتسع لأكثر من (63) ألف مصل، ويضم قاعة مؤتمرات، ومتحفاً، ومكتبة عامة، ومعرضاً للفنون، وموقفاً كبيراً جداً للمركبات، ويعتلي المسجد (6) مآذن، و (30) دونماً حدائق حول المسجد؛ ليتمكن المصلون والزائرون من التنزه والاستمتاع بمنظر إطلالتها التي تعتبر من أجمل إطلالات إسطنبول؛ كونها تشرف على الشطرين: الآسيوي، والاوروبي، وعلى جزء من بحر مرمرة، ويمكن مشاهدة المسجد بسهولة من جميع مناطق إسطنبول.

- إنجاز أكبر مطار في العالم، وهو مطار إسطنبول الدولي الجديد، عندما عدتُ من إسطنبول في شهر تموز 2019م إلى العاصمة الأردنية عمان، كانت عودتنا من مطار إسطنبول الجديد الذي يعتبر غاية في الروعة، والجمال، والعظمة، والإتقان، والتصميم، والاتساع، كيف لا وهو المطار الأكبر في العالم، وقد افتتح في 29 /10 /2018م، وتبلغ مساحته مليون متر مربع، ويقع قرب بحيرة تيركوس في الجانب الأوروبي من إسطنبول، وقد وفَّر أكثر من مليون فرصة عمل، وبقوة استيعابية سنوية قدرها (150) مليون مسافر، وفيه (88) جسراً للركاب، وهذا يعني أنه في ذات الوقت يمكن ل (88) طائرة تحميل الركاب بسهولة ويسر دون أي مشكلات تذكر، وفيه مواقف داخلية للمركبات بسعة (12) ألف مركبة و (6) مدارج للطائرات، وهذا يعني أنه في ذات الوقت يمكن لست طائرات من الهبوط في المطار، ويستوعب المطار ثلاثة آلاف رحلة يومياً، وكانت تكلفة المطار (8) مليارات دولار.

- إنجاز الطريق السريع الذي يربط ولايتي إسطنبول وأزمير، وقد افتتح في 4 /8/ 2018م ليختصر الزمن بين المدينتين من (7) ساعات ونصف إلى (3) ساعات ونصف؛ فوفّر الجهد، والوقت، والمال، وساهم في تسريع عملية نقل المنتوجات الصناعية والزراعية، وتوفير (5) آلاف فرصة عمل، وبلغت تكلفته (7) مليارات دولار، وطول الطريق الجديد (192) كم، وكانت المسافة ضمن الطريق القديم بين المدينتين (419) كم.

- احتضنت إسطنبول مهرجان الشعر العربي في تشرين الثاني من العام 2018م، والذي شارك

فيه (30) شاعراً عربياً من معظم الدول العربية، وشاركت فلسطين بشكل فاعل ومتميز، كذلك احتضنت إسطنبول ملتقى أدب العودة في دورته الأولى، بمشاركة نخبة من الشعراء، والروائيين، والنقاد، والإعلاميين الفلسطينيين تحت شعار (نحو أدب عودة عالمي) فكان قطار العودة في ذكرى النكبة عام 2014م قد انطلق من إسطنبول [1].

- تأسيس جمعية أصدقاء جامعة القدس في إسطنبول في أواخر شهر أيلول من العام 2019م، وهذا ما أعلنه الأستاذ الدكتور عماد أبو كشك رئيس جامعة القدس من مدينة إسطنبول، خلال احتفال حضره نائب، والي المدينة سليمان قهرمان، ورئيس لجنة فلسطين في البرلمان التركي حسن طوران، ورئيس اتحاد رجال الأعمال المسلمين في تركيا، نور الله شاهين، ومستشار وزارة التربية والتعليم في تركيا، عمر فاروق قوقماز، وعدد كبير من رجال الأعمال والسياسيين، والمجتمع المدني في إسطنبول، وهذه الجمعية تأتي في إطار دعم تركيا لمدينة القدس ومقدساتها ومؤسساتها [2].

- افتتاح مكتبة الأمة، أكبر مكتبة في تاريخ تركيا، فيها (4) ملايين كتاب مطبوع، و (120) مليون مقالة إلكترونية، و(550000) كتاب إلكتروني، وتتسع لـ (5) آلاف شخص. تم تصميمها على الطراز السلجوقي، والعثماني، والفن المعاصر، وتقع ضمن المجمع الرئاسي في العاصمة أنقرة، وكان الرئيس أردوغان قد افتتحها يوم الخميس 20 /2 /2020م [3].

1. http://www.turkpress.com/node/12654 ، أمكن الرجوع إليه في 18 /1 /2020م .
2. جريدة القدس، الأحد، 29 /9 /2019م، العدد (18004)، ص7 .
3. قناة الجزيرة مباشر، الخميس 20 /2/ 2020م، الساعة الثانية مساءً .

مضرب الأمثال

أ.هالة عقل
رئيس قسم المطبوعات

أعمال الكافرين كالرماد

قال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ* وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ } (إبراهيم: 18 - 20)

قال الزجاج: أي مثل الذين كفروا فيما يتلى عليكم، أعمالهم كرماد، وهو عند الفراء على إلغاء المثل، التقدير: والذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد. وعنه أيضاً أنه على حذف مضاف، التقدير: مثل أعمال الذين كفروا بربهم كرماد.

والرماد ما بقي بعد احتراق الشيء، فضرب الله هذه الآية مثلاً لأعمال الكفار، في أنه يمحقها كما تمحق الريح الشديدة الرماد في يوم عاصف. والعصف شدة الريح، وإنما كان ذلك لأنهم أشركوا فيها غير الله تعالى. وفي وصف اليوم بالعصوف ثلاثة أقاويل: أحدها- أن العصوف، وإن كان للريح؛ فإن اليوم قد يوصف به، لأن الريح تكون فيه، فجاز أن يقال: يوم عاصف، كما يقال: يوم حار ويوم بارد، والبرد والحر فيهما.

والثاني- أنه يريد" في يوم عاصف" الريح؛ لأنها ذكرت في أول الكلمة.

والثالث : أنه نفث الريح

(لا يقدرون) يعني الكفار. (مما كسبوا على شيء) يريد في الآخرة، أي من ثواب ما عملوا من البر في الدنيا، لإحباطه بالكفر. (ذلك هو الضلال البعيد) أي الخسران الكبير، وإنما جعله كبيراً بعيداً لفوات استدراكه بالموت(*).

وهذا مثل يقصد به تنبيه الناس أن ما فاتهم من أعمار وأعمال لا يدرك، فسارعوا بالتوبة إلى الله، وإلا يذهبكم، ويأت بخلق جديد، يوحدونه ويعبدونه، كما ينبغي لجلال وجهه.

المفارقة بين المسلم والكافر:

قال تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (29) إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ }(الزمر: 29 - 30)

المثل يقرّب المعنى إلى الذهن، لعل الناس يتعظون، فيعتبرون، وذلك لعلهم يتقون ما حذرناهم منه من بأس الله وسطوته. ثم ذكر تعالى مثلاً للمؤمن الموحد والكافر المشرك، فقال:{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا}؟ أي ضرب الله مثلاً للمشرك في صنعه لا في معبوده، الذي يعبد أكثر من إله، بحالة رجل عبد مملوك يملكه عدد من الرجال، مختلفون فيما بينهم، متنازعون في ذلك العبد المشترك بينهم، متعاسرون، لسوء أخلاقهم وطباعهم، كل له رأي وحاجة، فإذا طلب كل واحد من السادة من هذا العبد شيئاً أو حاجة، فماذا يفعل، وكيف يرضي الشركاء جميعهم؟ كذلك المشرك في عبادته آلهة متعددة لا يتمكن من إرضاء تلك الآلهة.

وضرب الله مثلاً آخر للمؤمن الموحد بحالة رجل آخر مملوك لشخص واحد، لا يشاركه فيه غيره، فإذا طلب منه شيئاً لبّاه دون ارتباك ولا حيرة، وهذا المسلم الذي لا يعبد إلا الله، ولا يسعى لإرضاء غير ربه، فهل يكون في طمأنينة أم في حيرة؟

هذان المملوكان هل يستويان صفةً وحالاً؟ أي لا يستوي هذا وهذا، فكذلك لا يستوي المشرك الذي يعبد آلهة مع الله، والمؤمن المخلص الذي لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له، فأين هذا من هذا؟

* تفسير القرطبي: 9/ 353، بتصرف.

ولما كان هذا المثل ظاهراً بيّناً جلياً، قال تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ} أي الحمد لله على إقامة الحجة عليهم، وعلى أن الحمد لله لا لغيره، وعلى التوفيق للإسلام والحق، بل أكثر الناس لا يعلمون هذا الفرق، فيشركون مع الله غيره.

ونظراً لجهل أكثر الناس بالحق وعدم انتفاعهم بهذا المثل، أخبر تعالى تهديدا بالموت بأن مصير الخلائق كلهم إلى الله، وهناك يتقاضون في المظالم بين يدي الله، فقال: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ* ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ} أي إنك أيها الرسول ستموت، وهم سيموتون، ثم يحصل التقاضي عند الله، فيما اختلفتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك، وسيحكم الله بينكم يوم القيامة، فينجي المؤمنين المخلصين الموحدين، ويعذب الكافرين الجاحدين المشركين المكذبين.

تبين هذه الآيات أن مذهب المشركين في عبادة الأوثان، وتعدد الآلهة فاسد باطل لا يقبله عاقل صحيح العقل، ومن عوامل بطلانه وتهافته أنه لا يحقق لذويه غاياتهم، وأبسط دليل على ذلك هو هذا المثل الذي ضربه القرآن هنا للمؤمن الموحد والكافر المشرك، وأن مصير الخلائق إلى الله لحسابهم وتصفية منازعاتهم والقضاء العدل فيهم، سواء المؤمنون والكافرون، فيتخاصم الكافر والمؤمن والظالم والمظلوم[1]

الجليس الصالح وجليس السوء :

عَنْ أَبِي مُوسَى، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً"[2]

قال ابن بطال في شرحه: إنما أدخل المسك في هذا الباب ليدل على تحليله إذ أصله التحريم؛ لأنه دم، فلما تغير عن الحالة المكروهة عن الدم، صار حلالاً بطيب الرائحة، وانتقلت

1. التفسير المنير للزحيلي: 23 /282.
2.صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك

حالـه، فحـل بعـد أن كان حرامًـا بانتقـال الحـال، قـال: وحديـث أبي مـوسى حجـة في طهـارة المسـك؛ لأنـه لا يجـوز حمـل النجاسـة، ولا يأمـر صـلى اللـه عليـه وسـلم، بذلـك، فـدل عـلى طهارتـه، وقولـه: (يحذيـك) يعـنى: يعطيـك. تقول العـرب: حذوته، وأحذيتـه: إذا أعطيته. والاسـم: الحذيـا مقصور. [1]

وَالْمَعْـنَى فِيـهِ إِرْشَـادٌ إِلَى الرَّغْبَـةِ فِي صُحْبَـةِ الصُّلَحَـاءِ وَالْعُلَمَـاءِ وَمُجَالَسَـتِهِمْ ; فَإِنَّهَـا تَنْفَـعُ فِي الدُّنْيَـا وَالْآخِـرَةِ، وَإِلَى الِاجْتِنَـابِ عَـنْ صُحْبَـةِ الْأَشْرَارِ وَالْفُسَّـاقِ؛ فَإِنَّهَـا تَـضُرُّ دِينًـا وَدُنْيَـا، كَالرِّيـحِ إِذَا هَبَّـتْ عَـلَى الطِّيـبِ عَبِقَـتْ طِيبًـا، وَإِنْ مَـرَّتْ عَـلَى النَّـتْنِ حَمَلَـتْ نَتْنًـا، وَقِيـلَ: إِذَا جَالَسْـتَ الْحَمْقَـى عُلِّـقَ بِـكَ مِـنْ حَمَاقَتِهِـمْ مَـا لَا يَعَلَـقُ لَـكَ مِـنَ الْعَقْـلِ إِذَا جَالَسْـتَ الْعُقَـلَاءَ؛ لِأَنَّ الْفَسَـادَ أَسْرَعُ إِلَى النَّـاسِ، وَأَشَـدُّ اقْتِحَـامَ مَـا فِي الطَّبَائِـعِ، وَالْحَاصِـلُ أَنَّ الصُّحْبَـةَ تُؤَثِّـرُ، وَلِـذَا قَـالَ تَعَـالَى: {يَاأَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُـوا اتَّقُـوا اللَّـهَ وَكُونُـوا مَـعَ الصَّادِقِـينَ} [التوبـة: 119]. [2]

وَفِيـه: مـدح الْمسـك المسـتلزم لطهارتـه، ومـدح الصَّحَابَـة، حَيْـثُ كَانَ جليسـهم رَسُـول اللـه، صـلى اللـه عَلَيْـهِ وَسـلم، حَـتَّى قيـل: لَيْـسَ للصحـابي فَضِيلَـة أفضـل مـن فَضِيلَـة الصُّحْبَـة، وَلِهَـذَا سـموا بالصحابـة، مَـعَ أَنهـم عُلَمَـاء كرمـاء شـجعاء إِلَى تَمـام فضائلهـم.

وإلى لقـاء متجـدد مـع آيـات وأحاديـث تحـوي بـين طياتهـا أمثـالاً عـسى قارئهـا أن يأخـذ العظـات والعـبر، لتنـير دربـه، لينـال رضـا اللـه تعـالى وقبولـه، سـائلين اللـه العـليَّ العظيـم أن يُصلـح قلوبنـا وأعمالنـا، ويُبيِّـض وجوهنـا يـوم نلقـاه، ونسـأله رضـاه والجنـة، ونعـوذ بـه مـن سـخطه والنـار، والحمـد للـه ربِّ العالمـين، والصـلاة والسـلام عـلى نبينـا محمـد، وعـلى آلـه وصحبـه أجمعـين.

1. شرح صحيح البخاري لابن بطال 5/ 444
2. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: 8 /3136.

اقرأ وتذكر

أ.إيمان تايه
رئيس قسم النشر والتوزيع/ دار الإفتاء الفلسطينية

متاع الغرور

نـأتِي إلى الدّنيـا وَنحْـنُ سَواسـية ... طِفـلُ المُلـوكِ هُنَـا كَطِفـل الحاشِـيَة
وَنُغـادرُ الدّنيـا وَنحـنُ كَمـا تَـرى ... مُتشـابهون عـلى قُبـورٍ حافِيـة
أَعمالنـا تُعـلي وتَخفـض شَـأننا ... وَحِسـابُنا بالحـقِّ يَـومَ الغاشـية
حـورٌ وأنهـارٌ قصـورٌ عاليـة ... وجهنـمٌ تُصـلى ونـارٌ حاميـة
فاخْـتَرْ لِنَفْسِـكَ مـا تُحـبُّ وَتَبتغـي ... مـا دامَ يَومُـك وَاللّيـالي باقِيَـة
وَغـداً مَصـيركَ لا تَراجـعَ بَعـده ... إِمّـا جِنـانُ الخُلـدِ وَإِمّـا الهاويـة

لا تحزن

- لا تحزن إن فاتتك نجمة... فالسماء مليئة بالنجوم، ولا تحزن إن فاتتك كل النجوم، فمن الممكن أن يكون من نصيبك القمر، مَنْ يَعلم، إذاً لا تهتم، ولا تغتم.
- لا تحزن على ما فات، واستبشر بما هو آت، عطاء الله رحمة، ومنعه حكمة، فكن مع الله يكن معك في كل شيء، ويحفظك أينما كنت، اسعَ وراء أحلامك، وثق بربك، وإذا عزمت فتوكل على الله.

أحسن الله إليك

لا تُشتّت قلبك في البحث عن حُب وأمان وكمال عند غير الله؛ لن تجد، ستبقى تتصدم وتتوجع؛ حتى تتيقّن أن التعلق الحقيقي لا يصلح إلا لله، وأن القلب لا يرتاح ويطمئن ويشعر بالأمان إلا مع الله، فتُحب الآخرين لله، وفي الله، ولأجل إرضاء الله، لا إرضاء نفسك، ومن أرضى الله سيرضيه، ولو بعد حين ..ويبقى الله معك، حين لا يبقى أحد، يبقى يسمعك، عندما تستدير كل الدنيا بظهرها إليك، هو وحده الذي لا يهجرك، ولا يحظرك، ولا ينساك عند حاجتك

لم تسأله شيئاً إلا أعطاك

الله أحن عليك من ألف كتف

الله أحن عليك من ألف سند

الله يبقى معك حين لا يبقى أحد

ففي اللحظات السعيدة "احمدوا الله"

وفي الأوقات العصيبة "أحسنوا الظن بالله"

وفي اللحظات الهادئة " اذكروا الله "

وفي الأوقات الأليمة "ثقوا برحمة الله"

وفي الأوقات جميعها "استغفروا الله"

فإنه الرقيب المجيب، كلما أحسنت نيتك، أحسن الله حالك...وكلما تمنيت الخير لغيرك جاءك الخير من حيث لا تحتسب.

فلم يَغرَق موسى الرضيع، عليه السلام، في البحر وهو في قمة ضعفه، بينما أُغرق الملك فرعون وهو في قمة جبروته.

فمن كان مع الله فلن يضرّه ضعفه، ومن لم يكن مع الله فلن تنفعه قوته.

من يدي الوالد

أحضر الوالد صندوقاً مملوءاً من اللؤلؤ غالي الثمن جداً، ووضعه أمام أولاده الثلاثة الذين يحبهم جداً، وقال لهم: يا أولادي إني أحبكم جداً، لذلك قررت أن أهب لكم هذا الصندوق .. وفتحه الأب أمام الأولاد، وقال لهم: يا أحبائي، الآن كل واحد منكم يأخذ بكفيه من الصندوق على قدر ما يستطيع، بشرط أن يأخذ مرة واحدة فقط..

وكانت الفرصة كبيرة أمام الابن الأكبر.

الذي كان له كفان كبيرتان جداً، والذي بدأ و أخذ ملء يديه الكبيرتين لؤلؤاً.

ثم جاء بعده الابن الأوسط الذي له كفان كبيرتان أيضاً، وأخذ قدراً كبيراً من اللؤلؤ.

ثم جاء دور الابن الأصغر الذي نظر إلى يد أخويه كيف كانتا كبيرتين، ثم نظر إلى يديه، فوجدهما صغيرتين جداً، فركض إلى حضن أبيه وسأله:

أبي هل تحبني؟

أجاب الأب: أحبك جداً يا ابني.

أجاب الابن: إذن يا أبي إني لا أريد أن آخذ نصيبي بنفسي ..

هل من الممكن أن تعطيني أنت نصيبي بيديك أنت؟

نظر الأب إلى الابن، وأغلق الصندوق، وأعطى كل ما فيه للابن الصغير

لقد اختار الابنان الآخران الاعتماد على نفسيهما في اختياراتهما دون الرجوع إلى أبيهما .. بينما ذلك الابن الصغير هو الذي أحس باحتياجه الحقيقي للأب، فلجأ إليه، وأسلمه أمره وطريقه .. فما كان من الأب إلا أن يعطيه كل ماله !!

أنا وأنت، كل يوم نعتمد على قوانا الضعيفة دون الرجوع إلى الله

لذلك فإننا كثيراً ما نختار الاختيار الخاطئ، وذلك لكوننا ضعفاء

في أحلامنا وفي طموحاتنا، وفي كل شيء

لأنه قادر أن يفعل أكثر مما نطلب، وأن يمنحنا أكثر مما نحلم.

حكم و مواعظ

- من وهب نفسه للدنيا لن تعطيه إلا قطعة أرض يدفن فيها، ومن وهب نفسه لله سيعطيه الله جنة عرضها السماوات والأرض.
- من صَبر غَنِم، وَمَن سَكَت سَلِم، ومن اعتبر أَبصر، ومن أَبصر فَهِمَ.
- شيئان لا تتخلى عنهما أبدًا: ابتسامتك للناس، وحسن ظنك فيهم، فالابتسامة ليست سذاجة.. وحسن الظن ليس غباءً. أن تبادر بالخير..قمة الذكاء!
- إن الدنيا بقاؤها قليل، وعزيزها ذليل، وشبابها يهرم، وحيها يموت، فالمغرور من اغتر بها

لياقة سلوكية

قال تعالى: {فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ}(القصص: 24)

إذا أحسنت إلى أحدهم فابتعد عنه، لا تحرج ضعفه، ولا تلزمه شكرك، واصرف عنه وجهك؛ لئلا ترى حياءه عارياً أمام عينيك: {فَسَقَى لَهُمَا} ثم: {تَوَلَّى}

لم يقل سبحانه ثم «ذهب» !

بل تولى بكامل ما فيه ..

افعلْ المعروف و تولَّ بكل ما أوتيت حتى ذلك القلب الذي ينبض بداخلك لا تجعله يتمنى الشكر، و الجزاء يكفيك أن يجازيك الكريم.

باقة من نشاطات وأخبار مكتب المفتي العام ودوائر الإفتاء الفلسطينية في محافظات الوطن

أ. مصطفى أعرج
مدير عام مكتب سماحة المفتي العام

المفتي العام يترأس الجلستين (191 و192) لمجلس الإفتاء الأعلى

القدس: ترأس سماحة الشيخ محمد حسين، المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ رئيس مجلس الإفتاء الأعلى، الجلستين (191 و192) من جلسات مجلس الإفتاء الأعلى، حذر خلالهما سماحته من عواقب التغاضي عن تصعيد سلطات الاحتلال من إجراءاتها ضد المقدسات الفلسطينية، وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك، منددا بقيامها بأخذ قياسات لباحات المسجد الأقصى المبارك وإجراء عمليات مسح فيه، بالإضافة إلى تسهيل عمليات اقتحام المستوطنين المتطرفين للمسجد، محذراً من عواقب هذه الممارسات، ومؤكداً على أن المسجد الأقصى المبارك للمسلمين وحدهم، ولا يحق لغيرهم التدخل في شؤونه.

كما أدان سماحته قرار سلطات الاحتلال بناء مئات الوحدات الاستيطانية، خاصة في منطقة القدس، وذلك بهدف فرض سياسة الأمر الواقع، وتغيير معالم المدينة المقدسة، ومنع أي تواصل جغرافي فلسطيني، بهدف إعاقة قيام دولة فلسطينية.

وناشد سماحته المجتمع الدولي بضرورة التدخل لوقف هذه الاعتداءات والانتهاكات، التي تقوم بها سلطات الاحتلال ضد الشعب الفلسطيني ومقدساته.

كما أدان سماحته عربدة قطعان المستوطنين واعتداءاتهم التي يقومون بها، من استيلاء على أراضي الشعب الفلسطيني، وسرقتها بحماية من قوات الاحتلال، مؤكداً على ضرورة التصدي لهذه الزعرنة، التي تقترفها تلك الجماعات المتطرفة.

كما حذر سماحته من عواقب هدم قرية الحمصة الفوقا التي تقوم بها سلطات الاحتلال ضد المواطنين والأراضي الفلسطينية في الأغوار الفلسطينية، مؤكداً على ضرورة دعم صمود المواطنين وثباتهم في وجه الاحتلال وعربدته.

مفتي محافظة نابلس يشارك في ندوة دينية ونشاطات أخرى

نابلس: شارك فضيلة الشيخ أحمد شوباش، مفتي محافظة نابلس، في ندوة دينية بعنوان (ظاهرة العنف: الأسباب والحلول)، عقدت في صالون أفنان دروزة الثقافي، حيث قدم فضيلته ورقة عمل، بيّن فيها أسباب العنف، وحكم الشرع فيها، كما بيّن بعض الحلول في حسن التربية والفهم السليم لأحكام الدين، وشارك في ورشة عمل بعنوان (كن أنت الرقم الصعب) في مركز مدارات، وشارك في زراعة أشتال الزيتون بأسماء شهداء المحافظة، وفي اجتماع لجنة الإصلاح؛ للتباحث في حل العديد من الخلافات والتحديات، وشارك في العديد من البرامج الإعلامية، عبر العديد من وسائل الإعلام، حيث أجاب عن استفسارات المواطنين التي تهمهم في حياتهم الدينية والدنيوية، كما ألقى العديد من خطب الجمعة والدروس الدينية، التي تناولت موضوعات عدة، بالإضافة إلى مشاركته في حل العديد من الخلافات والنزاعات العائلية والأسرية والعشائرية.

مفتي محافظة بيت لحم يشارك في اجتماع المجلس التنفيذي للمحافظة ونشاطات أخرى

بيت لحم: شارك فضيلة الشيخ عبد المجيد العمارنة، مفتي محافظة بيت لحم، في اجتماع المجلس التنفيذي للمحافظة، وشارك في اجتماع ديوان مجلس العشائر العربي الفلسطيني الأول، الذي عقد في بلدة الزعيم، وزار بيت الأسير حسن مسالمة المصاب بالسرطان، وشارك في تشييع جثمان الشهيد داوود الخطيب، الذي استشهد في سجون الاحتلال، وألقى موعظة بيّن فيها منزلة الشهداء عند الله سبحانه وتعالى.

وألقى فضيلته درساً دينياً في مسجد الدهيشة الكبير، وشارك في العديد من الندوات الدينية عبر تقنية (زووم) تناول فيها العديد من الموضوعات، وقدم برامج دينية عدة عبر مختلف وسائل الإعلام المحلية، أجاب خلالها عن استفسارات المواطنين حول مختلف جوانب الحياة.

مسابقة العدد 153

السؤال الأول: ما .....؟

1. اسم باب الجنة المخصص للصائمين
2. اسم البلدة المقامة على أراضيها الآن مستوطنة "رامات غان"
3. تأثير سحب الدم على الصيام
4. حكم قراءة المعوذات والنفث بها على النفس
5. أول ما بدئ به الرسول، صلى الله عليه وسلم، من الوحي

السؤال الثاني: من .....؟

1. الذي قال صلى الله عليه وسلم، عنه: "ليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه"
2. الذي كلم الرسول، صلى الله عليه وسلم، بشأن المخزومية التي سرقت
3. الذين إذا أرملوا في الغزو جمعوا ما عندهم في ثوب واحد، ثم يقتسمونه بالسوية
4. الذي سأل الرسول، صلى الله عليه وسلم، له أن يدخله الله من أبواب الجنة المختلفة
5. القائل :

أ. لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي

ب. إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه
شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا

ت. كم من رجال في العيون وما هم
بالعقل إن كشفتهم برجال

السؤال الثالث: كم .....؟

1. يُبْعِدُ الله وجه من صام يوماً في سبيل الله عن النار
2. ليلة كان جبريل يدارس رسول، صلى الله عليه وسلم، القرآن في رمضان

السؤال الرابع: ماذا .....؟

1. كان النبي، صلى الله عليه وسلم، يفعل إذا دخل العشر الأواخر من رمضان
2. تفعل الملائكة التي تطوف في الطرق إذا وجدت قوماً يذاكرون الله

السؤال الرابع: متى .....؟

1. وقعت مجزرة نحالين الثانية
2. يجوز التصريح بخِطبة المعتدة من وفاة
3. بني مسجد أيوب سلطان

تنبيه: يمكن استخراج إجابة أسئلة المسابقة من محتويات هذا العدد

جوائز المسابقة

قيمتها الكلية 1500 شيكل موزعة على ستة فائزين بالتساوي

ملحوظتان :
- يرجى كتابة الاسم الثلاثي حسب ما ورد في البطاقة الشخصية (الهوية)، والعنوان البريدي، ورقم الهاتف وكتابة الإجابات بخط واضح .
- أن لا يقل عمر المتسابق عن 10 سنوات
- ترسل الإجابات على العنوان الآتي :

مسابقة الإسراء، العدد 153
مجلة الإسراء
الإدارة العامة للعلاقات العامة والإعلام / دار الإفتاء الفلسطينية
ص.ب : 20517 القدس الشريف
ص.ب : 1862 رام الله

إجابة مسابقة العدد 151

السؤال الأول: ما.....؟

- الصبر، والمصابرة، والرباط، والتقوى
- أي يتناوبون في الصعود والنزول
- العذاب
- الذي يموت في الطاعون
- دابة، أبيض طويل، فوق الحمار، ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه.
- لم يقم دليل معلوم لا على شهرها، ولا على عشرها، ولا على عينها، بل النقول في ذلك منقطعة مختلفة، ليس فيها ما يقطع به.

السؤال الثاني: من .....؟

- يوسف، عليه السلام
- امرأة فرعون
- حسن عبد الله
- محمد أحمد أبو لبن
- الإمام مالك
- النبي، صلى الله عليه وسلم
- زهدي حنتولي

السؤال الثالث: كم .....؟

- 32 عاماً
- (28) سنة
- الخمس

السؤال الرابع: أين .....؟

- في السماء السادسة
- عمان/ المملكة الأردنية الهاشمية
- في مقر جامعة القدس المفتوحة/ طوباس

السؤال الرابع: متى .....؟

في عرفة

السؤال الرابع: لمن .....؟

للأمور المحال تحقيقها أو حصولها

الفائزون في مسابقة العدد 151

اسم الفائز	العنوان	قيمة الجائزة
1. جهاد أحمد إبراهيم	القدس	250
2. أديان راتب محمود خنفر	نابلس	250
3. سمير ربحي دار موسى	رام الله	250
4. حليمة سيد دعاجنة	الخليل	250
5. محمد موسى هماش	بيت لحم	250
6. فاطمة أحمد عدوي	بيت لحم	250

ضوابط تنبغي مراعاتها عند الكتابة لمجلة الإسراء

حرصاً على التواصل بين مجلة «الإسراء» وقرائها الكرام، فإننا نتوجه إلى أصحاب الفضيلة العلماء وأصحاب الأقلام من الأدباء والمفكرين أن يثروا مجلتهم بالكتابة، للاستفادة من عطائهم الكريم، آملين أن تصل مشاركاتهم المختلفة من المقالات والأبحاث والقصائد الشعرية الهادفة، إضافة إلى ملحوظاتهم السديدة، علماً أن موضوعات المجلة متنوعة، تشمل المجالات الدينية والإنسانية والثقافية والعلمية وغيرها، ويخصص لكل موضوع ينشر مكافأة مالية جيدة.

ونلفت الانتباه إلى ضرورة مراعاة قواعد الكتابة وضوابطها، ومنها :

1. طباعة المادة المراد نشرها على الحاسوب، وترسل عن طريق البريد الإلكتروني، أو باليد.
2. ألا يزيد المقال عن (1500) كلمة، والبحث عن (3000) كلمة.
3. كتابة نصوص الآيات مع تشكيلها، وتوثيق أرقامها.
4. تخريج الأحاديث من مظانها المعتبرة، وأن تكون مشكَّلة، وصحيحة ويلزم بيان رأي علماء الحديث في مدى صحتها، إن لم تكن مروية في صحيحي البخاري ومسلم.
5. التوثيق عند الاقتباس، سواء من الإنترنت أم الكتب والمراجع والمصادر الأخرى.
6. عمل هوامش ختامية، أو حواشٍ سفلية، تشمل المعاني والتوثيق ... إلخ.

مع التنبيه إلى ضرورة تجنب إرسال مقالات أو أبحاث سبق نشرها، سواء في مجلة الإسراء أو غيرها، إضافة إلى الامتناع عن إرسال مقالات منسوخة عن مجلات أو مواقع إلكترونية .

نستقبل المراسلات على العنوان الآتي :

القدس : مجلة الإسراء / فاكس : 6262495 ص.ب: 20517

الرام : تلفاكس : 2348603 ص.ب 1862

E.mail : info@darifta.ps - israa@darifta.ps